المحاورات الجديدة

أو

دليل الرجل الذكي إلى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية

د. لويس عوض

المحاورات الجديدة

د. لويس عوض

المحاورات الجديدة

أو دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة
والنشر بيروت

الطبعة الأولى : روز اليوسف الكتاب الذهبى ١٩٦٥
الطبعة الثانية : دار المستقبل ١٩٨٦

مقـدمة لابد منهـا

فى الثالث من يونيو ١٩٦٥ اشتركت فى مهرجـان الادب الذى اقامته محافظة الدقهلية بمدينة المنصورة ، وتكلمت فى نـدوة حية اشتركت فيهـا مـع الدكتورة بنت الشـــاطىء والاستاذ محمد زكى عبد القادر والاستاذ محمود العالم ، وكان موضوع هـذه النـدوة « لقاء الثقافات » والحق ان موضوع النـدوة الـذى اختاره لنـا أدباء المنصورة الشبان كان فى حـد ذاته موضوعا ذكيـا يـدل على حذق كبير فى اختيـار الموضوعات ، لاسيما وان المتكلمين كانوا يمثلون بقـدر عددهم مختلف تيارات الفكر من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، ولم يكن ينقصهم الا اثنـان ليمثلوا كل الـوان الطيف أو ثلاثة ليمثلوا كل درجات السلم الموسيقى ٠

فلا غرابة اذن ان كان اجتماع هؤلاء المتحدثين فى حـد ذاته « لقـاء ثقافيا » من نوع فريد ، ولست استبعد أن اهـل المنصورة الاذكياء قد تعمدوا ان يرتبوا هـذا اللقاء ليظفروا بجلسة مثمرة ، والـذى نبهنى الى هـذا انى سعدت قبـل النـدوه بالتعرف للمرة الاولى الى فضيلة الاستاذ محمـــد

الغزالي وأتيح لنا ان نتبادل الحديث خلال ثلاث ساعات قبل بدء الندوة ، من الغداء الى الاصيل فى امور الفكر والثقافة وأمور الدنيا والدين ، وانضم الينا الاستاذ محمد زكى عبد القادر ، ثم اكتشفت ان ذكيا من أذكياء المنصورة سجل كل مادار بيننا من حوار على ريكوردر على غير علم عنا • وقد اختلفنا قبل الندوة واثناءها بما أرضى كل الاتجاهات الفكرية على وجه الارض • وليس هناك ما يدعو لان اعيد ما قاله القائلون او ان اتحمل مسئولية عرض أفكار الغير فقد اتهم بتشويشها • ولا سيما ان الامر تعقد بعد الندوة الرسمية حين حمل اهل المنصورة ضيوفهم القاهريين نحو منتصف الليل فى ركب من السيارات الى مصيف جمصة فوجدت نفسى على رمال الشاطىء بين عبد الرحمن الخميسى وصلاح عبد الصبور وأحمد حجازى والدكتور عبد القادر القط والدكتور عز الدين اسماعيل وفاروق خورشيد ورجاء النقاش وعبده بدوى وعامر بحيرى وعباس خضر • وعدد عظيم من الادباء والمتأدبين • وكثر اللغط وتفرق وتجمع وتشتت فى الرياح ورفرف بأجنحة فى الظلام على أمواج البحر الابيض المتوسط ثم تلاشى الى الابد

ولكن الذى لفت نظرى فى كل هذه المناقشات هو نوع الاسئلة التى كان يوجهها الينا شباب المنصورة ، وهم

بغير شك يمثلون قطاعا من شباب مصر ، فقد كان أكثر هذه الاسئلة اسئلة حائرة تريد ان تستطلع معنى « الرجعية » و « التقدمية » وتريد ان تستوضح حقيقة دور الاستعمار فيما يسمى عادة بالغزو الفكرى أو الغزو الثقافى ، ولانى أحسست بأن هذه الآسئلة الحائرة تعبر عن اشياء كثيرة عامة فى نفوس عدد كبير من الشباب الذين يسمعون هذه الالفاظ والعبارات تتطاير كالشرر دون ان يعرفوا لها معنى محددا ، فقد دفعنى هذا اثر عودتى الى القاهرة ان اتشبه بما فعله برناردشو ، فأكتب « دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » · أكتبه من وجهة نظرى وفى حدود علمى وبوحى ثقافتى وتكوينى النفسى وربما من زاوية رجل تجاوز الخمسين جذوره الاجتماعية فى الطبقة البورجوازية المهنية والبيروقراطية التى أنقذتها الثقافة الانسانية من فردية المهنيين ومن تقليدية البيروقراطيين · وانا أذكر كل هذه المواصفات عن نفسى لاعتقادى أن للبيئة دخلا كبيرا فى تشكيل افكار الانسان واستجاباته ، بل ومقومات شخصيته الاساسية ·

وبعد ان عدنا الى القاهرة قال قائل : ولماذا لا تنقل ندوات المنصورة التى دارت فى مدرسة ابن لقمان وفى فندق الاكروبول وفى سيارات المحافظة وعلى بلاج جمصة فى صورة

محاورات جديدة مفتوحة تتدارس فيها كل هذه الآراء ، وربما انتهينا الى شيء ينفعنا وينفع الناس ؟

قلت : لا بأس ، ولكن بشرط واحد : وهو أن تسود روح جمصة فى القاهرة ٠

قال : وما روح جمصة ؟

قلت : الا تذكر ليلة كذا تحت الخيمة العظيمة ، وهى أعظم من خيمه السرك ، ويسمونها الكازينو فيما أعتقد ، كنا نستشرف البحر المالح ونأكل الكباب والدجاج حتى الفجر ، والى جوارنا سبعة من طهاة المنصورة وسفرجيتها يشوون لنا اللحم بأمر المحافظ على الطريقة السكسونية التى يسمونها طريقة « الباربكيو » أو الشواء الدائر فوق النار دوران محمصة البن ؟ كنا ساعتها نتجادل طويلا وعميقا وخطيرا ولكن فى هدوء ، لان رائحة الشواء التى جاءتنا على أجنحة النسيم السارى من أرخبيل ايجة طمأنت قلوبنا وسكنت اعصابنا كأنها انغام من مزامير كاريا أو الحان من قيثارة أيولية عزفت على أوتارها أنامل ايوليوس رب النسيم ٠ وانتم ادباء القاهرة ، ملتهبون ، ونحن فى يونيو والحر لا يطاق وكل موضوعاتكم ملتهبة ، فاذا وافقت ووافق الجميع ان يتم كل شيء فى ابتسام ، تجادلنا وتحاورنا الى ما شاء الله ٠

فالغضب ممنوع والزعل مرفوع ، ولا أظن اننــــا مستطيعون ان نحل مشاكل الانسانية فى جلسات ٠

قال : موافق ٠

وقالوا : موافقون ، بشرط ان نخلط الجـد بالهزل والهزل بالجـــــد ٠

قـلت : ٠٠ ما الى هــذا قصدت ، فنحن لن نتكلم الا جـدا فى جـد ، ولكننــا سنقول كل شيء فى ابتسام ، وحتى لا يغضب احــد سنستعمل الاسماء المستعارة ، ولن ننســب اى راى الى قائله بالاسم والرسم حتى يزول الاحراج وتنبسط تحت الاقنعــة الاسارير ٠ ومــا دمنــا فى القاهرة ، وكل منــا الى جوار مكتبته العامرة ، وعلى بعـد اتوبيس من دار الكتب ومكتبة الجامعة ، فهــذه فرصة ذهبية لان نحقق كل ما نقوله ونضبطه على مراجعه ٠ واذا أقتضى الامر دعونا من نشــاء من الخبراء الاجانب ، من افلاطون وارسطو الى ت٠س ٠ اليوت وجان بول سارتر ، بشرط ان ينصرفوا ويعودوا الى بلادهمبمجرد اداء مهمتهم والادلاء بشهادتهم حتى لا تتحول ندواتنا القومية الى مؤتمر لا يعلم عواقبه الا الله ٠ أقول لا بـــــد ان يعـــــودوا الى بـلادهم فور انتهـــائهم من عملهـــم ، فبعض هـؤلاء تروقــــــه ميــــــاه النيل اكثر مما تروقه ميـاه التيمس والســــين والهدسون

والفولجا والراين والبو فيتشبث بالاقامة بيننا ولو بدون تصريح ثم يدعو أسرته وعشيرته وأخيرا أمته الى الارتواء من ماء النيل فيغترفوا منه حتى يجف شريان مصر ٠ فما بالكم بخبراء البلاد التى ليست بها أنهار ؟

وأخيرا أرجو الا يمانع احد فى استحضار اشباح الادباء والاجداد من أبووير وبنتاؤور — الى العقاد ومحمد مندور — أنا مثلا احب أن أستحضر روح المعرى وابن خلدون لاناقشهما فى بعض ماقالاه ، وهذا حق متاح للجميع ، ولكن أيضا بشرط ان يعود الاسلاف الى اكفانهم وقبورهم بمجرد اتحافنا بآرائهم السديدة أو السخيفة ، حتى لا ننفصل عن القرن العشرين وحتى لا يتكاثروا علينا ويملاوا قاعات سميراميس وشبرد ومنتدياتنا الادبية والفنية فنجد أنفسنا — فى مجمع الاشباح وكأننا فى الموقف ، — فبعض هؤلاء الموتى أراذل يتشبثون بالحياة ولا يكتفون بعمرهم ولكن يريدون أيضا ان يأخذوا عمر غيرهم ٠

قالوا : موافقون هل لك شروط أخرى ؟

قلت : نعم ، ان يشترك معنا فى الحوار أدباء القاهرة وفنانونها ومفكروها الذين تخلفوا عن حضور مهرجان الادب فى المنصورة ، مثل أعضاء المجلس الاعلى لرعاية الفنون

والآداب وهيئات تحرير مجلات وزارة الثقافة ومن شاء من أعضاء المجمع اللغوى والفنانين التشكيليين ورجال الموسيقى الخ . فبعض هؤلاء غاية فى التسلية ولا سيما دعاة البعث العثمانى ، ومن يؤمنون بتحقيق الوحدة العربية عن طريق نشيد « أنت عمرى » كما حققت ملينا مركورى الوحدة العالمية عن طريق « فى يوم الاحد مستحيل » وذلك المعمارى العظيم الذى يدمن باخ ونيفالدى ويشترط على وزارة الاسكان هدم جميع مبانى القطر واعادة بنائها بقباب بيزنطية ومشربيات مملوكية .

وبعد ان فرغنا من كل هذه المداولات الاجرائية كان السؤال الاول بالبديهة هو : كيف نبدأ ؟ واين نبدأ ؟

قلت نبدأ بالماسكات أو الاقنعة . مثلا فلان وفلان وفلان من خيرة شبابنا المثقف العاكف على الآداب والفنون ، ولكنهم فى الواقع ليسوا أدباء ولا فنانين ولا فلاسفة بعد ، ونرجو ان يكونوا كذلك بعد عشر سنوات . لهذا سأكتفى بنماذج أو عينات منهم حتى لا يشوشوا على محاوراتنا بكثرة الصياح وحماس الشباب . سأكتفى بفلان وهو صبى ادباتى فى شئون الشعر والنثر وذلك القالب الثالث الذين يسمونه الدراما وسأكتفى بفلان وهو صبى نقاش استهوته البوية فاشترك فى اتلييه القاهرة وذهب يلطخ القماش

بالتبقيغ والتجريد والتجسيد والتكعبب والتلعيب بـدلا من تلطيخ الجدران ومن آن لآخر يلعب بالحجر والخزف والخشب فيدق عليه بالازميل ، ويسنفره • وسأكتفى بفلان وهـو صبى زمار قضى صباه فى درب العوالم المتفرع من شارع محمد على حيث اكاديمية الزمارين ثم خالط بعض الخواجات فى جازباند الكورسال والكونتننتال فضحكوا عليه واغروه بآلة مضحكـة تسمى الكلارينيت قبل ان يبلغ العشرين ، واعجبـــه لبس السموكنج فأطلق شعر راسه ودخل الكونسرفاتوار ولكنـــه كان دائما يخلط بين كونشرتات موزار ودقات « أيوب المصرى» تنصلوه وقرر آن يحترف التأليف الموسيقى الذى يصلح لخصر عدى شمس الـــدين ، ولاوركسترا القاهرة السيمفونى فى وقت واحـد ، فعين فى لجنة الموسيقى بالمجلس الاعلى للفنـون والآداب •

وكان معه فى صباه غلام ، وهو صبى قرداتى ـ واخته الصغرى آكلة النار مثله من درب العوالم فى سن البلـــوغ واشتغلا بمهنة البلياتشو على البيانولا فى شارع الفى دـك سنتين أو ثلاثا وكان خيالهما نشيطا كعضلاتهما فدخلا معهـد البالية ودرسا على يـد الخبير الروسى جوكوف الذى لاحظ ان مشية تشارلى شابلن فى ألفى بك قوست ساقيه تقويسا عضويا أو نفسيا ، وان أرداف اخته ثقلت بســـبب اكـل

التشويات والمفتقة فأحالها إلى الخبير الروسي رامازين الذى عجز عن تقويمهما وتشاجرا معه واتهماه بمعاداة القوميـــــة العربية لانه يصر على ان يكون الرقص بالرجلين واليــــدين وحدهما دون اشتراك الخصر ، ولمـا انتصر رامازين عليهما فى هـذه الازمــة عـادا وأتهماه بمعاداة الاشتراكية والفـن الشعبى ، لان شعبية الفن فى مصر دعامتها الاساسية تشغيل الجزء الاوسط من جسم الانسان · وهو لم يخرج بعد من هذه الورطة وانما ينتظر ان تسحبه حكومه الاتحاد السوفيتى لانه لم يفهم تماما كتاب ستالين فى المسألة القومية ·

وبعد صبى الادباتى وصبى النقاش وصبى الزمـــار وصبى القرداتى وصبية البلياتشو ، هناك فلان وهو صبى فلفوس يدعو للجوانية والبرانية معا ويمضغ اسماء كثيرة غـريبة من امبادوقليس الى ثراسيما خـوس ومن الاكوينى والبرت الكبير الى هولباخ وكوندورسيه وقد استطاع ان يوقف قمة الهرم الهيجيلى المقلوب على قمة الهرم المـاركسى المعـدول فبـدا الهرمان فى شكل هنـدسى طريف شبيه بوضـع أولاد عاكف فى التمرين المشهور حيث يلتصق الراسان · وغير هؤلاء صبيان كثيرون وكل هؤلاء ليسوا بحاجة الى اقنعـة لتخفى شخصياتهم لان شخصياتهم لم تتكون بعـــد أو تتضح فيها ملامح مميزة ·

ولكن المشكلة الحقيقية كانت فى اعلام الكتاب والفنانين. كان لابد ان اصنع لهم ماسكات يخفون وراءها ملامحهم ، فذهبت الى أمهر صانع اقنعة فى القاهرة ، وكان هو نفسه أحد هؤلاء الاعلام ، وربما كان علم الاعلام ، وكانت هوايته الاولى ان يصنع الماسكات للآلهة وانصاف الآلهة والابطال رجالا ونساء ، وكان دكانه فى برج عاجى ، فلما سمع المظاهرات بقيادة ابن سيركوف • وابن ماركوف يعلو لغطها ويرتفع هتافها : فلتسقط الأبراج العاجية ! فليسقط الفن الانعزالى ! نريد ماسكات ، نريد ماسكات ! الفن للمجتمع ! الماسكات لابناء الشعب الا ماسكات لابناء الذوات • خاف أن يحرق المتظاهرون دكانه ، أو على الاقل ان يقتحموا عليه برجه العاجى نبتدول الى اسطبل ، فأخذ يصنع الاقنعة لكل من هب ودب ويوزعها على الجماهير ، وكانت اقنعته طبعا من نوع ردىء والاغلب انه كان يصب المصيص فى قالب واحد او قالبين ، ولكنه نجح على العموم فى اسكات المتظاهرين فانصرفوا عنه وتركوه يعمل فى سلام •

قال صانع الاقنعة : لا تقحمنى يا حبيبى فى مشاكلك ، انا رجل مسن واحب الهدوء وقد نجحت الى حد كبير خلال ثلاثين سنة من العمل المتواصل فى ان أرضى جميع الناس اليمين واليسار والوسط ـ ولو انى ساعدتك فى صنع اقنعة

لادبـاء مصر وفنانيها لاغضبتهم منى ٠٠٠ عيـا اصنع اقنعتك بنفسك ، وتحمل مسئولية عملك ٠

قلت يائسا : ولكنها ستكون اقنعة رديئة لا توافق مـا وراءها من وجوه ، أو أقنعة شفافة تبـدى كل مـا تحتهـا من ملامح ٠ انـا اريـد ان تكون « المحاورات الجـديدة » محاورات فنية محجبـة مثـل محاوراتك ، لا محاورات فلسفية سافرة مثـل محاورات أفلاطون ٠ الم تعلمونا أن الفـرق بين الفن والعلم هـو الفرق بين الحجاب والسفور ؟ انظر لنفسك مثلا : انت قد صنعت لنفسك قنـاعا ممتازا لبسته أكثر من ثلاثين سنة ، فلم يستطع احـد ان يكشف من تكون أو ان يقرأ ما يـدور فى راسك من افكار ومعتقدات ٠ لـم يستطع أحد ان يعرف ان كنت على يمين الوسط او على يسار الوسط تماما مثـل شكسبير ـ والقياس مع الفارق ـ كانت مهنته الكلام ، ولم يستطع أحـد ان يحل لغـزه أو ينسب اليـه آراء أو معتقدات محـددة رغم انـه لم يكف عن الكلام طـول حيـاته ٠

قال مبتسما : ومـا ادراك ان فى رأسى آراء ومعتقدات غير مافى رءوس شخصياتى ؟

قلت : هل يمكن لانسان ان يعيش بـلا آراء ومعتقدات؟

قال : تناعى لم يكشفه بعد انسان . لا عليك . أنت تريد ان تحل لغز الفنان فى خمس دقائق . انا اذكر أيام ان كنت مع طه حسين فى السافوا العليا ومعنا مدام طه ونحن فى كوخ من تلك الاكواخ المسحورة وسط الغابات المسحورة ، وكانت هناك بحيرة مسحورة اتعرف كيف استدرجنى طه حسين الماكر الى السافوا العليا فوجدت نفسى اركب القطار كأنى مجرد من الارادة .

ثم مضى صانع الاقنعة يقص على قصه لا راس لها ولا ذنب ويبتهج أمامى بذكريات بعيدة حدثت نحو عام ١٩٣٦ وكانت ثمرتها كتاب كذا ، ولم يكف عن الكلام نحو ثلاث ساعات ، وكلما أردت أن اقاطعه قاطع مقاطعتى حتى اقتربت الساعة من الرابعة مساء فاستولى على اليأس تماما واصبحت مشكلتى ، لا ان اظفر من صانع الاقنعة بأقنعة استر بها وجوه شخصياتى بل كيف استخلصه واستخلص نفسى من حبائل ذكرياته . واستنجدت بصديقنا السندباد الجديد الذى أدرك نظرتى الضارعة .

فقال لقد آن الاوان لنعود الى زوجاتنا .

وهكذا حملنا السندباد الجديد على متن .. أو على الاصح داخل – سيارته المرسيدس كما دأب أن يفعل كل اسبوع وانزل كلاما عند زوجته ثم انساق هو ايضا الى زوجته .

ورأيت انــه لابــد مما ليس له بــد ، مادام صـــانع الاقنعة المــاهر لا يريد ان يساعدنى ، لم يبق الا ان اصنع اقنعتى بنفسى ، فاذا كانت رديئة أو شفافة أو لا تتنـاسب أصحابها ، فهى على كل حال خير من لا أقنعــة ، لقــد مضى الزمان الــذى كان فيــه أفلاطون يــدير محاوراته على لسان سقراط وجلوكون وتراسيماخوس وايون ٠٠ الخ ٠ فأدباؤنا اليوم شديدو الحساسية ولا مناص من سترهم بأقنعة ، ولكى لا اعطيك ايهــا القارىء فرصة للابتهاج بذكائك ابتهاجا سريعا لن اذكر لك اسماء « أشخاص المحاورات » أو أرتب لك الاقنعة التى صنعتها بحسب أدوار اصحابها كما يفعلون فى الصفحة الاولى من المسرحيات بل سأعرضها عليك مهوشة ومختلطــة حتى يختلط عليك أمرها فلا تميز منها أحــدا الا بحسب كلامه وسلوكه : واليك قائمة ببعضها :

ابوالفتوح الصباح ، الخشداش ايواظ ٠ عـــز الدين ايدمر المحيوى ٠ خولة المايسطرية ٠ المــاركسية المسخسخة شجرة اللولى٠ابو سيفين صفيح٠ابن عروس٠ابن قرمط ٠ الشاب الظريف ابوسنة دهب لولى ٠ خليع القبيلة ٠ المعــلم التاسع٠المعلم العاشر٠ناظر مدرسة ابن العميد٠مجــاهد بن الشماخ ٠ كافور الحاوى اغــا كافور الحاوى ٠ على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك ٠ دنانير ومعبــد واياس ٠ عميــد الصعاليك ٠ بازرعة بن شخبوط ٠ أغــا طبوزادة ٠ أبو دراس

المنوفى • الفارس المفروس • الفارس الجربوع • أفندم ؟ • أءنـدم ؟ (هذا تنـاع وليس سؤالا) الهـر الاسود الحزين • الحرفوش بلا حركشة • كاهن انوبيس • ابن روزنبرج • أبو شوشة الحمى • ابن ماركوف • ابن سيركوف • اغـا أبـو سيفين صـفيح • تاجـر البهارات • الايديولوجى الفهلـوى • أبو المعالى قطز • المملوك الشارد • جراب اليسار مسلول • حـلاق المـلوك والفقراء • المخلص الكفء • المخلص الرأسى • الذاتى الموضوعى • بقال العروبة • بقال الاشتراكيه • بقال الثقافة • الفارس المتعالى • على كل لون غلبان • على كل لون مفترى • على كل لون عياش • ذو الاقنعة السبعة • جوركى المـذعور • المتكتك المحترم • المتكتك الدؤوب • المتكتـك الخيبان • المتكتك الشريف ••• حامل الحقائب ••• لولو الجربان • غير ما يستجد من شخصيات واقنعة ، وشخصيات بـلا أقنعة واقنعة بـلا شخصيات وعـــدد عظيـم من الكومبارس الذين يطلون برءوسهم لحظـة أو لحظتين ليقولوا « نعـم يا سيدى » ـ ثم ينصرفون الى الابـد •

ومن غير المعقول طبعـا ان يشترك كل هؤلاء فى الحوار فى وقت واحـد ، والا حدثت غاغة فى عالم الفنون والآداب والعلوم الانسانية • ولهـذا كان من الحكمة ان تنتظـم محاوراتهم على طريقة البرنامج الثانى أو القناة التاسعة ،

أى ثلاثا ورباعا وخماسا وليس على طريقة الجمعيـــــــات العمومية غير العـاديه • ثم نشـأت اثنـاء المداولات نقطـة نظــام •

اعترض معترض : وهـل نحن بحاجة حقـا الى كل هذه الشخصيات لنجيب على الاسئلة التى طرحها علينـا أدبـــاء المنصورة ؟

قلت : نعم ، واكثر منها ، وسترى بنفسك • ولكن المهم هـو حفظ النظام حتى لا يختلط الحق بالباطل أو نخرج من هـذه المناقشات بلا ثمرة او يختفى الابتسام ونتضـــارب وكأننـا اعضاء البرلمـان الفرنسى فى الجمهورية الثالثة •

قال على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : أنـــا معترض على هـذه الاقنعـة التى صنعتها لنـا • خـذ مثلا قناعى • انـه لا يناسبنى ، وسيظن الناس طـول الوقت أنى شخص آخر •

قلت : لا تغضب ، انما يلام صانع الاقنعة لانـه أبى ان يعاوننى • ومع ذلك الم نتفق على ان يتم كل شىء فى ابتسام ؟ اذ لم يعجبك اجتهادى فأنا مستعد للعدول عنـه • أى قنـاع تقترح لنفسـك ؟

وهنـا سكت على الزيبق متدبرا ، وطال سكوته حتى مـل الحاضرون •

وحل صانع الاقنعة هـذه المشكلة بقوله : حتى لا نتعطل كثيرا ، انـا أعـدكم بأنى سأصنع قنـاعا جـديدا لكل من يضيق بقناعه ، لابـد من نقطة ابتداء وانهم ان نتقـدم من هـذه النقطة •

فهز الجميع رءوسهم علامة الموافقة فقـد كانوا يكنون للشيخ احتراما عميقـا وشاع فى الاسارير سرور غامر •

اعترض الايديولوجى الفهلوى قائلا : انا أعترض على كل هـذه الماسكات لانهـا جميعها ممسوخة ، وهى تظهر ادبـاء مصر وفنانيها فى مظهر زرى وتحقرهم فى عيـــون مواطنيهم •

قلت : انت تغـالى • وما دمنـا قـد اتفقنا على الابتسام فأول شرط من شروط الابتسام هـو قدرة كلمنـا على ان يسخر من نفسه ومن قنـاعه • واذا أردت أن تسميني المـادى الميتافيزيقى أو البروليتارى البورجوازى او حتى صــبى المبشرين فلن اغضب • انا اسمى نفسى مركب الموضـــوع اللامركب من لا موضوع ، واذا وجـدت أردأ من هـذا فاقترحه وأحمد اللـه انى لم أتشبه بكليلة ودمنة أو بحواديت ايسوب ولافونتين فأصنع لكم اقنعة من رءوس الحيوانات ••• كلاب وذئاب وابناء آوى وقطط ، كما كانوا يفعلون بآلهـة مصر القديمة وفى أعيـاد ديونيزوس فى اليونان القديمة ولا يزالون

يفعلون فى الديانات الزووومورفية فى بعض البلاد المتحررة حديثا او فى بعض الاجناس التى لا تريد ان تنفرض عثل الهنود الحمر ٠

ثم لا تنس أن اقنعتى اقنعة لنماذج بشرية شائعـــة لادباء مصر وفنانيها ، وليست نماذج لاناس بعينهم ، فنحن جميعا من طينة واحـدة وحتى هـذه القوالب قوالب متكررة ٠ ابتسم يـا اخى !

واقترح آخر : مادمت تتحدث عن النظام فلابد من رئيس لهـذا المؤتمر المفتوح ولابـد من مقرر يـدون كل الآراء ٠

قال رابع : فليكن الرئيس أكبر الاعضاء سنا ٠

قلت : تقصد المعلم التاسع ؟ هـذا مستحيل ٠ فليكن نائبه هـو صانع الاقنعة ٠ هل من معترض ؟

وهنا صاح الجميع : موافقون ! موافقون !

قلت : وليكن المقرر المعلم العاشر فهو سريع التدوين ٠ هل من معترض ؟

وهنـا سمعت أصواتا تزوم واصواتا تتهلل واصواتا تريـد ان تقول شيئا ولكنهـا لا تقوله ٠ غير ان أحـدا لم يتقـدم صراحة للاعتراض ٠

قلت : السكوت علامة الرضا • ومع ذلك فسيوزع علكيم المعلم العاشر كل محاضر الجلسات أولا بأول • ومن رأى فيها اى تحريف أمكنه ان يصححه •

قال المعلم العاشر : متمهلا : ولكنى اريد ان اشترك فى المحاورات لانى اعلم انها ستدخل تاريخ الادب العربى فى القرن العشرين ، وانا كما تقولون معلم ، والمعلم عنده دائما ما يعلمه • ان المحاضر ستشغلنى عن الكلام ، وهذه ستكون مأساة حياتى •

قلت : لا باس عليك • سجل كل شىء بالريكوردر كما يفعل المقررون العصريون فى البلاد المتحضرة ، وتكلم ماشاء لك الله ان تتكلم •

وهنا سأل سائل : وهل هذه المحاضر للنشر ؟

اجبت : رايى الخاص انها للنشر حتى يحاسب كل منا فى كلامه ويحاسب على كلامه فلا نتراشق بالسباب أمام الناس كما يتراشق جمهور كرة القدم دزجاجات الكازوزة • فاذا وافقتم ، سلمنى المعلم العاشر محاضر محاوراتكم بعد التصديق عليها وانا اتعهد لكم بنشرها فى «الاهرام» أو فى غير الاهرام ،

وآرتفعت أصوات تقول ان النشر سيحول دون الكلام بصراحة ، رغبة أو رهبة ، وتجعل كلاً منا يلبس قناعا فوق

القناع الـذى يكسوه ، واذا كثرت الاقنعة ضاعت الحقيقة • وطالب البعض بعقـد جلسات سرية عند الاقتضاء •

قلت : لا جلسات سرية ولا جمعيات سرية فى عهـد الاشتراكية • عـار ان يقول هـذا ادباء مصر ونحن نحيا فى ظـل الميثاق ••• من تحرج صدره بشىء فليقله على المـلا ولكن فى حـدود النظام • الم تعلنوا جميعا انكم بنـاة الاشتراكية والديمقراطية بالفكر والكلمة ؟ ان الميثاق سمح يـدع كل الزهور تتفتح داخل الحديقة ونحن ولـلـه الحمـد جميعا نفىء بفيئها • أمـا من راى لنفسه جنة غير هـذه الجنينة فليمض اليها فهو ليس منا •

قالوا صدقت : من استودعه اللـه شرف الكلمه امتـلا بالروح وحمل العبء العظيم • فلنبـدأ الحاورات على بركـة اللـه •

× المحاورة الأولى ×

فى العصر الذهبى

دق رئيس المؤتمر ، وهو صانع الاقنعة ، بعصاه على الارض ثلاثا كما يفعل القاضى على المنصة . أو كما يدقون فى المسرح قبل رفع الستار وقال :

ـ باسم ربات الفنون التسع نفتتح هذا المؤتمر .

ثم استدرك قائلا : اقصد الربات التسع لا الفنون التسع لان الفنون سبعة ولا اعرف كيف جعل اليونان تسع ربات يشرفن على سبعة فنون ، ثم انى لا افهم كيف جعل اليونان الفلك من اختصاص ربات الفنون ... ومع ذلك فالينا بجدول الاعمال ... ماهى القضية الاولى أيها السيد المقرر ؟

قال المقرر ، وهو المعلم العاشر :

ـ كان أول سؤال هو سؤال طرحه شاب فى مهرجان المنصورة ... نسمع كثيرا عن الرجعية والتقدمية فما تعريف الرجعية وما تعريف التقدمية وهل هناك مقاييس نستطيع ان

نحكم بهـا على رجل ما نستمع له أو نقرأ له او نرى سلوكه فى الحياة بأنه رجعى أو تقدمى ، ثم ما صـحة ما قرأناه فى مجلة « المصور » من استشراء الرجعية فى البـلاد فى زمن الزحف الاشتراكى ؟ احمد بهـاء الدين قال ان هناك ستمائة الف رجعى مقابل ستمائة تقـدمى ٠

قال ((المخلص الواسى)) : أحمد بهاء الدين قال مقابل ستمائة شيوعى ، ولم يقل مقابل ستمائة تقدمى ٠٠ اذا اردت احصاء التقدميين ففى البلاد ستة ملايين تقـدمى ٠

قال الايديولوجى الفهلوى : هـذا يعقد الامـور لان الشيوعيين المصريين منذ الاربعينات يحتكرون لقب التقدميين وهـذا قـد يحدث لبسا لانـه قـد يوحى بأن البلاد فيها ستة ملايين شيوعى ٠٠٠ والحقيقة ان البـلاد فيهـا ، منـذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ستة ملايين تقدمى أما الشيوعيون فعـددهم لا يتجاوز ستمائة ٠٠٠ ارجو النص يا سيدى الرئيس على هـذه الاعـداد ٦٠٠ شيوعى ٦٠٠,٠٠٠ رجعى ٦ ملايـين تقـدمى ، والا حـدثت بلبلة ٠

صانع الاقنعة : لا داعى للنص ، فالمسألة واضحة ٠٠٠ ومن لـه تحفظ فليؤجله الى آخر المناقشة ٠٠٠ هـذه نقطـة نظـام ٠

الفارس المفروس : أولا انا أحب أن أجيب على النقطة الاخيرة وهى استشراء الرجعية بالذات فى عهد الزحف الاشتراكى ... ليس صحيحا ان هناك استشراء للفكر الرجعى ازاء التجدد الاشتراكى لان الاستشراء لا يكون استشراء الا اذا استشرى والدليل على انه ليس هناك استشراء ان وزارة الثقافة انشأت فى ٢٣ يوليو ١٩٦٣ مجموعة من المجلات تلقفتها الرجعية لتأليب المثقفين على مبادىء ميثاق ١٥ مايو ١٩٦٢ وكان اهمها المغفور لهما « الرسالة » و « الثقافة » وقد فعلت هذه المجلات كل ما فى وسعها لتلفت الانظار ، فجمع كتابها كل ما فى الحوارى من طوب وزلط وقطع حديد خردة وصفائح سردين فارغة وزجاجات مكسورة وبلغ قديمة واخذوا يرشقون بها المارة دون تمييز ومع ذلك لم يلتفت اليهم احد ... وجربوا تلعيب الحواجب واخراج اللسان وبطح النفس على طريقة الفلاحين المصريين لا على طريقة فقراء الهنود ، ومع ذلك لم يجد أحد فى ذلك تسلية كبيرة ... ولما يئسوا جربوا اللعب بالنار والمفرقعات فلم يخرج منها شىء اكثر من القمر والنجوم وبومب العيد ، اسألوا ناظر مدرسة ابن العميد . وهو رئيسهم .... انه جالس هناك ... رغم كل هذه الالاعيب لم يزد توزيع « الرسالة » عن ٢٠٠٠ نسخة . بدأ ٥٠٠٠ وانتهى ٢٠٠٠ كيف تفسروا هذه الظاهرة ؛ أقول

ان ماجـد منذ الزحف الاشتراكى ليس ازدهار الرجعية بين المثقفين وانما مجرد تجمع عصابات مدربة معادية للاشتراكية.

ناظر مدرسة ابن العميد : هـذا كـذب « الرسـالة » كانت توزع نصف مليون نسخة .

صانع الاقنعة : يا فارس يا مفروس اسكت ... احترم شيخوخة حضرة الناظر .

على المـرء أن يسـعى وليس عليـه ادراك النجـاح .

الفارس المفروس : انا فقط اردت ان أوضح ان البلـد بخير .

الخشداش ايواظ : وكيف البت «الثقافة» و «الرسالة» المثقفين على مبادىء الميثـاق ؟

على الزيبق الجوكى : انا أجيب على هـذا السؤال .. الميثاق نادى بالتقدمية والنظر الى الامام . ومجـلات وزارة الثقافة نادت بالرجعية وعبادة السلف ... الميثاق نـادى بمساواة المرأة بالرجل وبتحرير المراة من اغلالها ، ومجـلات وزارة الثقافة نادت بانحطاط المراة وبضرورة اعتقـالها فى الحريم ... الميثاق نادى بالاشتراكية العلميه ومجلات وزارة الثقافة نادت بالاشتراكية البورقيبية ... الميثاق مجـد

رفاعة الطهطاوى ولطفى السيد وبفلسفة الاخذ والعطاء مع الحضارات الاخرى ومجلات وزارة الثقافة مجدت اغلاق النوافذ وتحسرت على انسلاخ مصر من الامبراطورية العثمانية الميثاق دعا لتنظيم الاسرة كجزء من برنامج التنمية ومجلات وزارة الثقافة كافحت تنظيم الاسرة • الميثاق دعا لتجديد الحياة على أرض مصر بالتجربة والخطأ فى الفكر والادب والفن والعلم والاقتصاد ، ومجلات وزارة الثقافة أعلنت ان كل تجديد خروج على الدين والقومية وعلى تراث الآباء والاجداد ••• بل أكثر من هذا ••• ففى عصر الاقمار الصناعية والاوتوماسيون نشرت مجلات وزارة الثقافة ابحاثا ضافية لاثبات وجود العفاريت والبعابيع ••• كل هذا مدون بالحرف الواحد فى مجلات وزارة الثقافة •

صانع الاقنعة : انتقلوا الى الموضوع الاصلى •

المعلم العاشر : عندى تعريف للرجعية وهو تعريف اتيمولوجى وعضوى فى وقت واحد ••• الرجعية من رجع يرجع والرجوع طبعا لا يكون الا الى الوراء ••• ولم نر قط رجوعا الى الامام الا فى حالة واحدة هى بغلة البهاء زهير حيث يقول :

لك يا صديقى بغلة

ليست تساوى خردلة

تمشى فتحسبهـا العيــو

ن عــلى الطريق مشـكلة

وتخـــال مـــدبرة اذا

مـا اقبلــت مستعجلــة

مقـدار خطوتهـا الطويـــ

ـلة حـــين تسرع أنملــــه

تهتـــز وهى مكانهـــا

فكأنمـــا هى زلـــزلة ٠٠٠

او على الاصح : بلغـة البهاء زهير تتقـدم الى الوراء ومن يستطيع ان يتقـدم الى الوراء يستطيع ايضا ان يرجـع الى الامام فالرجعى اذن هـو من اراد للمجتمع او لنفسه ان يرجع الى الوراء ٠٠٠ واما منشؤها فهو اعتقـاد الانسان ان حيـاة القدماء ، حيـاة الآباء والاجـداد ـ والاجداد قبل الآباء ـ كانت العصر الذهبى للحياة اى حين كان الرجال رجالا ، قامة كل منهم متران ٠

ومن الناس من يعتقـد ان الارض سكنهـا العمالقـــة بالفعل قبل انيسكنها البشر ٠٠٠ وبالطبع فى هـذه الرؤيـا للعصر الذهبى محال ان يكون هنـاك مكان لداروين ولاماركس وعامة اصحاب التطور المساكين أو الملاعين ، لان الاحيـــاء كانوا كاملين ثـم انحطوا درجة درجة مع توالى العصـــور

والدهور حتى آلوا الى هـذا المسخ الـذى نراه اليوم ، ولـم يكونوا انواعا ساذجة ثم تطورت وارتقت درجة درجـة حتى خرج منها انسان اليوم ٠

صانع الاقنعة : على العموم « الرسـالة » و « الثقافة » اغلقتـا فى أوائل صيف ١٩٦٥ ، والضرب فى الميت حرام ٠

الايديولوجى الفهلوى : بعـد اذنك يا سيدى الرئيس المنابر ماتت ، نعم ٠ أمـا الإفكار فهى لا تزال ترعص ٠ ومن وقت لآخر ينجمع اصحابها مثل جماعات الكوكلوكس كـلان ويلبسون الزعابيط والطراطير البيضاء كالاشباح ، يرقصون حول النار ، ويطلقون السهام والاعيرة النارية مثـل الهنود الحمر والعيار الـذى لا يصيب يـدوش ٠ فيحسب النـاس انهم جيش من التتر ويدخلون البيوت ويختبئون ٠

ثم هناك مسألة التوثيق ٠ فالمؤرخ سنة ٢٠٠٠ لثقافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ لن يعرف ان هـذه المجلات ماتـت بالسكتة القلبية ٠٠٠ من قلة التوزيع ٠٠٠ سيدهش حـين لا يجـد كلمة واحـدة فى صحافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ترد على ترهات مدرسة ابن العميد والخشداش ايواظ وعـز الدين ايدمر المحيوى واغاطبو زاده ، سيظن المؤرخ من نبرتها المجلجلة انهـا كانت تقود الرأى العام ضـد الميثاق ، لابـد

من سجل يعرف منـــه المؤرخ ان فى السويداء رجالا ••• نحن لـــم نرفع الراية البيضاء ، والحرب لم تنته بعد •

ابـو الفتوح الصباح : اذا كانت هـذه هى الرجعيـــة فأنـــا رجعى ، ولتحيـــا الرجعية •

الخشداش ايواظ : فلتحيـــا الرجعية •••

كوراس من عز الدين ايدمر واغا طبوزادة وابو المعالى قطـــز وبازرعة بن شخبوط : فلتحيا الرجعيـــة •

مجاهـــد بن الشماخ : أنـــا سبق لى ان أوضحت كـــل هذا فى مجـــلة « الرساله » وأثبتت ان الرجعية هى حيـــاة السلف الصالح وان كل سلف صالح ••• اهتفـــــوا معى : فلتحيا الرجعية ••• فليحيا العصر الذهبى •

الخشداش ايواظ : فليحيا الآباء والاجداد •

كـــوراس ايدمروطبوزادة وقطـــز وشخبوط : فلتحيـــا الرجعية فليحيا العصر الذهبى ، فلتحيا السلف •

كافور الحاوى : احذروا يا سادة ••• هـــذا كمين ••• لا تقولوا فلتحيـــا الرجعية ••• كونوا رجعيين ولكن اهتفوا فلتسقط الرجعية ••• وليكن هتافكم اعلى من هتـــاف التقدميين هذا منطق العصر •• كونوا رجعيين عصريين ، وانـــا معكم

انا مثــلا رجعى عصرى ، عندى دكتوراه من الخارج والبس جاكتة سكوتش واضع المنــديل فى كمى واشرب البيبة ٠٠٠ فلا يتصور أحــد انى رجعى ٠ ولكنى مع ذلك رجعى وعنــدى ان كل الرجال عبيــدوان كل النساء اماء ، انــا طبعــا لا اجاهر بهذا لانى عصرى ولكنى أطبقه عمليــا ٠٠٠ وفى الثقافة مثلا ٠ كنت اساعد الحلفاء ايــام الحرب بتجنيد المثقفــين لمؤزارة العالم الحــر فلما اتوكسوا فى العلمين وجــــدت ان صالح الوطن وصالحى يقضيان بأن ادرس كتاب « كفاحى » وان اهتم بنيتشه وفاجنر ٠ فلما سطع نجم حسن البنــــا وهنرى كوريبل فىوقتواحــد ارتبكت قليلا ، ولكنى وجدت الحل : دخلت الاخوان سرا وتزوجت من ماركسية علنــــا لاهــديها الى الصراط المستقيم ٠٠٠ كل هــذا مع محافظتى دائما على صلاتى بالديوان المــلكى ثم دخلت جنــة النقطــة الرابعة ٠ وهاناذا اليوم ارتع فى جنة الاشتراكية العربية كما ترون ، ومع ذلك فأنا لم اتغير ٠٠ سلطتى زادت وشهرتى زادت ومحفظتى زادت ٠٠٠ طبعــا سمعتى ساءت بــين المثقفين ولكن ماذا يهم ٠٠٠ يقولون انى انتهازى ٠٠٠ ولكنهم مغفلون لانى فى الواقع رجعى ٠٠٠ رجعى عصرى ٠٠٠ وهناك آلاف مثلى ، رجعيون عصريون ٠٠ كلهم تعلموا فى الخارج وكلهم يشربون البيبــة ويضعون المناديل فى اكمامهم ، ومع ذلك ليست لهم سمعة اطلاقا ٠٠٠ فلماذا كل هــذا الضجيج حول سمعتى؟

انـــا انتهازى ؟ فليكن ··· ربما كنت انتهز ، ولكنى لا أنتهز لنفسى فقط وانما انتهز لمبـدئى أيضا ـ أليس هـذا ما يفعله على الزيبق الجوكى ؟ هـو يفعل الشىء ويسميه « مرحلية » لانـــه جوكى ··· لانه مولع بالسباق ··· عنـدى أن المرحلية هى المعادل الموضوعى للانتهازية على النطاق السلوكى ··· المعادل هـو القناع او البرقع ···· القناع للمذعورين ··· البرقع للضعفاء ··· وانـــا قوى ، فانا بغير حاجة الى معادل ·· انـــا ادخل راسا فى الموضوع الكارت على المـائدة ··· وأنا قوى لانى حللت مشكلة الضمير ··· لا اقنعه ··· لا براقع لا ضمير ··· لا نفـاق ··· لهـذا انـــا واضح ومفهوم أمـــا على الزيبق لجوكى فغير واضح وغير مفهوم ··· المهم ان يخـدم الانسان مبـداه فى كل زمان ومكان وتحت اى ظروف ·· وما جدوى المبـدأ بغير صاحب المبـدأ ؟ لهذا كان شعارى دائما « انج بجلـدك » ··· وافضل طريقة معروفة للنجـاة بالجلـد هى تغيير الجلـد ، وعندى ان تغيير الجلـد افضل من لبس القنـاع ··· وبـــلا قناع اقول انـــا مبدئى الفرديـة لانى فرد ··· انا اعرف انى انـا ولست غيرى ··· والوجود عنـدى مكون من « انـــا » فى طرف و « الآخرين » فى الطرف الآخر ·· والآخرون لا وجود لهم الا من خلالى ، فوجودى هو دليل وجودهم ·· انا أعرف انى فرد ولست جماعة ·· وساظل فردا حتى يثبت لى ابن سيركوف وابن موركوف انى جماعة

•• ولكن ليس من الحكمة الآن أن أعلن فى كل مكان انى فـرد مادام كل فرد فى مصر يصر على انـه جماعة ••• أنـــا باختصار وصلت لحل المعادلة الصعبة وهى كيف تكون فردا وجماعة فى وقت واحـد بالمعادل الموضوعى : انــا والكـــون طرفا المعادلة ••• والكون هـو معادلى الموضوعى على النطاق الفلسفى ••• فى الواقع ليست هناك مشكلة حقيقية أيهـــا السادة ••• انـــا اكتشفت أولا ان التقدمية هى ان اتقـدم انا فى المناصب وفى الثروة وفى السلطـة وفى السلم الاجتماعى ، واكتشفت ثانيـا ان كل الناس ادوات للتقـدم ، وبالتـالى يجب ان يكونوا ادوات لتقدمى ••• وبهـذا اصبحت المشكلة كلهـا عندى مشكلة لغوية ••• أنـا اكتشفت ان اللغـة أداة للتفاهم ••• أداة للاقناع ••• اكتشفت انـه باللغـة يمكن اثبات أى شىء وكل شىء ••• كل النـاس تحاسبنى عـلى كلامى ••• لـم اجـد احـدا يحاسبنى على افكارى أو اعمالى الفرق بينى وبين على الزيبق الجوكى هو انـه يريـد اقناع نفسه قبل اقناع الغير ••• أمـا أنا فاكتفى باقنـاع الغير •• كل هذا بسبب الضمير وأنا تخلصت من مشكلة الضمير •• أنـا وضعت فى حجرة نومى لافتـة بالخط الثلث بكلمات سيد درويش الخالدة : « عشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى نطاطى نطاطى » ، حتى افتح عليها عينى كل صباح وتكون آخر ما أراه قبل النوم ••• ولكن المؤسف فقط هو انى لـم اصل الى شىء كثير يتناسب مع مواهبى ••• ولكنى مع ذلك

وصلت لشيء ··· ثـم لابـد من تفصيل لغـة لكل مخاطب · مثلا : عندما تخاطب الكلب قل له : يا سيدى ·· فيفرح الكلب ويعتقـد انـه الانسان وانك انت الكلب ··· مثلا ، ان كنت فى بلـد تعبـد العجل ، فحش ، وارم له ··· وهـذه لغـة عملية موضحة بالفعل والشرح المادى الملموس ··· العجل الآن هـو الاشتراكية التقدمية · حشوا ايهـا السادة ··· وارموا ايهـا السادة ، حتى يتخم العجل ويكبس الحشيش على نفسه فينـام ، وينام ، وينام من الوخم ، وعنـدئذ تقـدموا أنتم بالسكاكين ··· أيهـا الرجعيون طهروا صفوفكم من الاغبياء اهتفوا معى : فلتسقط المرأة الذهبية : فلتحيا المرأة المتحررة ··· ايهـا الفرديون ! اهتفوا معى : فلتحيـا الاشتراكية : تحيـا وحـدة الانتهازيين والمرحليين ·

الذاتى الموضوعي : بالضبط ··· بالضبط هـذا من أوليات الوضعية المنطقية ·

أبو الفتوح الصباح : كلا ··· كلا ··· فليسقط داروين ··· فليسقط لامـارك ·

مجاهد بن الشماخ : نعم ··· فليسقط المبشرون ··· فليحيا السلف ··· فليحيا العصر الذهبى ·

صانع الاقنعة : النظام ··· النظام ··· فلنعـد الى الموضوع ··· استمر ·

المعلم العاشر : نعود الى تعريف الرجعية ··· أقول : كانت النساء نساء فى العصر الذهبى · وهنا تختلف الافكار عن

نساء العصر الذهبى المنسوخ بحسب ظروف كل منا ، ولاسيما ظروفه المنزلية ٠٠٠ فبعضنا يتأوه على ضياع سلطان الرجل حتى فى عقر داره ، ويندب الايام التى كان الرجل فيها يقطب فيرتجف كل من حوله من اناث وبنين ، أو يزعق فتنشـــقق جدران البيت وتتعلق انفاس الهواء فرقا ٠٠٠٠ وبعضنا يتأوه على ضياع انوثة الاناث ويستغرق فى احلام رشـــــيدية ، أكثرها خرج من ألف ليلة وليلة ، عن نساء يجدن التعطـــر والتطيب ويلبسن سراويل الخـز والدمقس ، ويسـدلن على وجوههن نقـابا أرق من نسيج العنكبوت ، وقـد جلسن على أرائك بـدندن على العـود أو يرقصن وهن يشخشخن على الصنوج وهنـاك نماذج قليلة باقية الى اليوم من هــــذه الاجناس المنقرضة يراها السياح عـادة فى كباريهات القاهرة بين منتصف الليل والواحدة صـــــباحا ، ويراها المصريون كثيرا فى التلفزيون العربى وفى أفلامنا القومية ، ولــــكن النفس تعافها لانهـا تـدندن للجميع وتشخشخ للجميع ، أمـا نساء الزمان الغـــابر فكن يـدندن ويشخشخن كـل لرجلها فقط وهـذه مأساة عصرنا ٠٠٠ هـــــذه الصـورة الجميلة العاطرة لاناث الامس يقابلها بعضنا بصورة اناث اليوم المسترجلات ، منهن من يلبسن البنطلونات فعـــلا ويلعبن الالعاب الرياضية ، وحين يطلبن المرح يدبـــدبن بأرجلهن فى جنون على الباركيه فى الســـوينج والتويست والروك انـد رول ويسمين هـذه الدبدبة رقصا ! كل هـذا

يدل على انحطاط الانسانية وافول عصرها الذهبى ، لان الرجال لم يعودوا رجالا والنساء لم يعدن نساء وكل شيء آيل الى فساد .

ابو الفتوح الصباح : ما كل هذا الكلام الفارغ ... نحن لم نأت هنا لنسمع هذا اللغو عن الدندنة والشخشخة وعن النساء المستهترات ... تكلم فى الموضوعات الجادة ... تكلم عن مخافة الله ، عن الصوم والصلاة ، عن عدل الولاة ... عن تآخى المؤمنين ... تكلم عن وداعة القلوب ... عن سياسة الرعية . عن تقوى العباد ... كل هذه امور تهم المجتمع . أما هذه الاحلام الرشيدية عن النساء فهى من مظاهر انحطاط المجتمع بعد ان فقد الدين سلطانه على النفوس ايام المدنية العباسية تكلم عن السلف الصالح .

المعلم العاشر : انا أبدأ بالمرأة لان المراة نصف المجتمع . اعتقد ان كل مجتمع فيه نساء بنسبة ٥٠٪ على الاقل ، واحصاءات هيئة الامم المتحدة تؤكد ان عدد النساء فى العالم أكثر من عدد الرجال . أنا لا أستطيع ان أتجاهل ٥٠٪ من البشر ... حتى السلف كان بينهم دائما ٥٠٪ من النساء ... انا اعتقد ان اى كلام عن المجتمع لا يبدأ بالحديث عن النساء كلام فارغ ومضلل . خذ أى شريحة فى المجتمع تجد ان نصفها من النساء ... الطبقة الحاكمة نصفها من النساء .

الذاتى الموضوعى : هـذا صحيح من الناحية المنطقية ٠ الكلام يكون أولا عن الجنس ثم عن النوع ثم عن الفصل ثـم عن الخاصة ثم عن العرض العام ، ومنهج المعلم العاشر متمش مع منهج ارسطو فى الاورجانون ٠

ابو الفتوح الصباح : اذن دعوتا من الدندنة والشخشخة وذكر هـذه المذكرات ٠٠٠ الرؤيا الرشيدية لرجـال العصر الذهبى ونسائه ليست سائدة فى عقـول الكثيرين فأكثـر المتأوهين على ضياع العصر الـذهبى لا يفتقدون ضـياع الانوثة فى النساء بـل يفتقدون ضياع الرجولة فى النساء : ايـام ان كانت المرأة مبنى ومعنى ، شكلا ومضمونا ، جـدا فى جد ، تقف صاغرة أمام وليها ولكنها تقف كالرمح السمهرى أمـام الآخـرين ٠٠٠ اذا وقفت ، كـلا ٠ أنـا آسف هـذه أيضـا ليست صورة صحيحة لنسآء العصر الذهبى ، لانها صورة أمازونية يونانية عن النسـاء المحاربات ٠ وهذه لهـا ما يقابلهـا حقـا فى الادب العربى القديم حيث نجـد الزباء والخنساء وجليلة بنت مرة وزرقاء اليمامة والاميـرة ذات الهمة وشجرة الـدر يبرزن مثل جان دارك بروز الرجـال للرجال مستصرخات أو مستنهضات أو مبارزات وهن ينشدن النشيد القومى الذى الفـه عمـرو بن كلثوم وضاعت منـا نوتته الموسيقية :

الا هبى بصـحنك فأصـبحينا
ولا تبقـى خمـور الاندرينـا

اذا بلغ الفطام لنـــا رضيع
تخـر لـه الجبـابر ساجـدينا
ملآنـا البـر حتى ضاق عنـا
ونحن البحـر نملؤه سـفينا

ولكن هـذه الصورة برغم هـذا صورة غير تقليـدية عن نساء العصر الذهبي • فنساء العصر الذهبي كن يقرن في بيوتهن ولا يسفرن الا لـذوى الارحام من المحارم أو الغلمان - دون سن البلوغ ، ومن باب أولى لا يتبرجن الا لازواجهن • وهنـا تختلف الآراء في تحـديد معنى العورة ، وفيما يجوز فيه السفور ومداه ، فمن قائل انـه كان يقتصر على الوجـه واليـدين ومن قائل ان الخمـار عـادة تركية دخيلـة على نساء العـرب ••• الخ • وايـا كان الامـر فهذه التفاصيل الشائكة كلهـا لاتهم الا المجتهدين ، وانما المهم هـو الصورة العامة والصورة العامة هي ان نساء العصر الذهبي كـن نساء فضليات ، ومقياس الفضيلة انهن كن يعشن لازواجهن وفي أزواجهن : يرتبن لهم طعامهم ومنامهم ويلـدن لهـم بنيهم ويسهرن على تربية هؤلاء البنين • فاذا اخـذت احداهن من العلم شيئا فهو لا يخرج عن حـدود وظيفتهـا الاولى في الحياة وهي الاطعام والانامة وتربية الاولاد والبنات حتى التاسعة والحادية عشرة بحسب الجنس • قارنوا هـذا بنساء اليوم المارقات الابقات الناشزات اللواتي يهجرن البيوت

ويتعلمن اللغـات والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والفيزياء والكيمياء وحساب المثلثات واللوغاريتمات ويشتغلن بالطب والقانون والصيدلة والبيطرة والهندسة والتعـدين والغزل والنسيج والمحاسبة والادارة والسكرتارية والصحافة والنحت والتصوير والعزف والتمثيل والرقص الايقاعى وغير الايقاعى امـام الجمهور • حتى غزو الفضـاء دخلت فيـه فالنتينا • وهى كلهـا معارف لا تفيـد فى طعام زوج أو انامة حليل أو تربية بنين • بـل قارنوا هـذا بنساء اليوم الفاجرات اللواتى يتبرجن أمـام الخاص والعام بمستحضرات مـاكس فاكتور وهيلينا روبنشتاين وبتقاليع جاك فات وكريستيان ديـور ، ويبدين فتنهن فى السينمـا والمسرح وفى الشـارع والنـادى ، ويخرجن شبه عرايـا على البلاجات • قـارنوا وقارنوا تروا ان نساء العصر الذهبى كن مثـال الفضـيلة أمـا نساء اليوم فهن مثال الرذيلة •

ابـو الفتوح الصباح : احسنت يـا استاذ أحسنت •

المعلم العاشر : هل كنت امينا فى وصف نسـاء العصر الـذهبى ؟

ابـو الفتوح الصباح : غاية فى الامـانة هكـذا كانت نساء السلف الصالح • ولـن تقوم لمجتمعنا قائمـة الا اذا رجعت نساؤنا الى الفضيلة الاولى •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : اذا كان هـذا

رايك فلماذا ارسلت بنتك الصغرى بمفردها لتدرس الهندسة فى لندن بين غير ذوى الارحام وغير المحارم وكلهم عيونهم زرق وتجاوزوا سن البلوغ ؟ الا تخشى عليها من الفتنة ؟ ثم انى رأيت السيدة المصونة زوجتك مع بنتيك الناهدتين خارجتين أول أمس من « ايرمالادوس » فى سينما قصر النيل.

ابو الفتوح الصباح : اخرس يا ولد .

صانع الاقنعة : التهجم الشخصى ممنوع اعتذر له .

على الزيبق : متأسف .

صانع الاقنعة : هل الترضية تكفى ؟

ابو الفتوح الصباح : مؤقتا حتى نخرج من هنا . وسأحطم وجهه .

الايديلوجى الفهلوى : حذار . على الزيبق لا يحطم لانه كالزنبرك ، كالياى الاصلى ينكمش وينفرد بمرونة شديدة وبقوة شديدة واذا لم تلتفت لنفسك فربما انفرد بك فوجدت نفسك طائرا فى الهواء .

المعلم العاشر : هل انت واثق من انك وصفت نساء العصر الذهبى بامانة ؟

ابو الفتوح الصباح : بالتاكيد .

المعلم العاشر : وكيف تأكدت ؟

ابو الفتوح الصباح : كيف تأكدت ؟

المعلم العاشر : نعم كيف تأكدت . هل رأيتهن بعينيك

أبو الفتوح الصباح : ما هـذه السخافة • طبعا لا نحن نعرف هـذا من كلام السلف من كتب القدماء •

المعلم العاشر : هل تقبل كتب السلف كمرآة للحيـاة فى ذلك العصر •

مجاهد بن الشماخ : وهل هناك مرآة غيرها ؟ اسألونى عن أى شىء فى أدب العرب ، من جـدى الشماخ بن ضرار فى الجاهلية الى أن غربت شمس الاندلس آتيكم بالخبر اليقين والعصر المملوكى التركى والتركى المملوكى أيضـا اذا أردتم وكل شىء حـدث منـذ بونابرت اللعين حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ • أمـا بعـد هـذا فذاكرتى لا تعى شيئا لان الحوادث كانت اسرع من قـدرتى على التعلم •

المعلم العاشر : اتفقنا اذن الادب مرآة الحياة • ولكن الدلائل تـدل ، بحسب ما يعرفه عشاق الادب العربى ، على أن نساء العصر الذهبى ، ولاسيما الارستقراطيات وبنـات العائلات كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم • أنظر مثـلا الى المعرى • المعرى كتب نحـو عشر قصائد فى اللزوميات يندد بتعليم البنات ، ومعنى هـذا ان العرب فى زمن المعرى كانـت عندهـم مدارس بنـات • ربما لم تكن أسماؤها بنبافـادن الثانوية للبنـات او مدرسة أم المحسنين ، ولكنهـا كانـت مدارس بنات على كل حال • ولو ان المعرى كتب قصـيدة

واحدة ضد تعليم المرأة لقلنا انه ربما اغتاظ من قريبة أو جنارة أرادت ان تتفلسف أو تتحذلق فأرسلت بنتها الى المدرسة ، ولكن عودته الى هذا الموضوع مرارا وتكرارا يدل على انه كان بناهض ظاهرة اجتماعية متفشية ، كما كان قاسم امين أو لطفى السيد مثلا ، على العكس منه ، يكتبان مرارا وتكرارا فى ضرورة تعلم المرأة فنفهم من ذلك عزوف المصريين وقتئذ عن تعليم بناتهم . واذا لم تكن هناك مدارس بنات فلابد انه كان هناك مدرسون خصوصيون يترددون على البيوت ... والارجح ان العرب عرفوا المدارس والدروس الخصوصية على السواء . المدارس لابناء وبنات الناس العاديين والدروس الخصوصية لابناء وبنات الذوات. حتى الجوارى والعبيد نعرف من المعرى ان منهم من كان متعلما فهو يحدثنا فى « رسالة الغفران » عن الجارية توفيق السوداء التى كانت تعمل فتاة مكتبة فى مكتبة بغداد ايام المأمون تناول الكتب للقراء والنساخ ومحال ان نتصور ان الجارية توفيق كانت امية ومع ذلك كانت تميز بين ديوان الخطيئة وديوان ابن الزبعرى ، فلابد انها تعلمت سواء فى مدرسة أو على يد مدرس خصوصى ... صحيح ان بنات العصر الذهبى لم يشتغلن بالعلوم الرياضية والطبيعية ولكنهن اشتغلن بالتجارة والسياسة والحرب والادب وادارة الفنادق وكن يدرن الصالونات الادبية تماما مثل مدام دى مانتنون

ومدام دى بارى ، وكن يقدن المظاهرات ، فانا لا أجد فرقا بين السيدة التى خرجت تستنهض همة المعتصم بالله بعد غزوة من غزوات الروم وتهتف : « وامعتصماه ! » وبين لطيفة الزيات حين كانت تهتف عام ١٩٤٦ بين طلاب الجامعه : « فليسقط الاستعمار ! » أو « الكفاح كفاح الشعب ! » • أنا لا اجد فرقا ابدا بين نساء العصر الذهبى ونساء اليوم • ومن رأيى ان تمنح وزارة الثقافة منح تفرغ لنقاد مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » ليدرسوا من كتب العرب أنواع الاعمال التى كانت تزاولها نساء العرب وليدرسوا نسبة التعليم بين بنات العرب بدلا من الجلوس فى ناصية الشوارع وقذف المارة بالطوب •

صانع الاقنعة : أنت استوفيت هذه النقطة فانتقل لغيرها حتى نسمع غيرك قبل ان نأخذ الاصوات على القضية المطروحة وهى : هل هناك فرق بين نساء اليوم ونساء العصر الذهبى •

الايديولوجى الفهلوى : سيدى الرئيس ، القضية المطروحة أعم من ذلك • الاصوات ينبغى ان تؤخذ على الوجه التالى : هل هناك عصر ذهبى وعصر فضى وعصر برونزى وعصر حديدى كما كان يقول ادباء أوروبا ؟

المعلم العاشر : أنا اقول ان العصر الذهبى خرافة ابتكرها خيال هسيود فى « الثيوجونيا » فى القرن التاسع

ق٠م٠ ثـم تبنتها الرجعية الآوربية لتثبت ان الامس كان خيرا من اليوم ولتجعل عيون الناس فى اقفيتهم فينظروا دائما الى الوراء ٠

وسأعود الى هـذه النقطة بعد ان افرغ من الكلام عن نساء العرب ، الشعر العربى وحـده كاف لاثبات ان نساء العصر الذهبى كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم ٠ امرؤ القيس مثـلا قـال فى شعر سيدة من سيدات المجتمع :

غـدائره مستشزرات الى العـلا

تضـل العقاص فى مثنى ومرسل

وهذا يثبت انهـا كانت تتردد على الكوافير بانتظـام وتجرب مودة الكريباج والبوستيش والشينيون والكاتوجان والا فكيف استشزرت (اى اشرأبت) غـدائر المحبوبة الى العلا ، وكيف تاهت الامشاط بين الشعر المرسل والشـعر المجـدول ؟ وامرؤ القيس كان دائما يتتبع مودة الشعر فهـو القائل فى مودة ديـل الحصان :

وفرع يزين المتن اسود فاحـم

اثيث كقنـو النخـلة المتعثكل

اى شعر يزين الظهر كثيفاً الخ ٠٠٠ وليس من الضرورى ان يكون الكوافير سقراط او انطوان تنتقل النساء الى دكانه فالارجح انـه كان بلانة من طراز راق يتردد ابونيـه على قصور امـراء العرب او كوافيره خصوصية فى بلاط الملوك ٠

أبو الفتوح الصباح : الجاهلية ليست مقياسا للعصر الذهبى لان الجاهلية الاولى عرفت بالتبرج ، وربما بقيت بعض تقاليد من هذا التبرج فى الجاهلية المتأخرة ... العصر الذهبى يبدأ بالمائة الاولى :

المعلم العاشر : ومتى ينتهى ؟

صانع الاقنعة: اسحب هذا السؤال لانه سيبدا الشغب ، إنظر • هناك من يصيح : العرب فسدوا بعد الخلفاء الراشدين • الشاب الظريف أبو سنة دهب لولى يهتف تحيا ذكرى ابى نواس ! لا ذهب الا ذهب العباسيين ! أبو فراس المنوفى يصيح : مولاى لا تنس الاندلسيين اسحب هذا السؤال ..

المعلم العاشر : سحبته • سأتكلم عن المائة الاولى فقط فالكل متفق عليها لانها كانت عصر الفتوحات العظيمة أنا أقول ان نساء العصر الذهبى فى المائة الاولى كن يعرفن مودة مارى انطوانيت فى تصفيف الشعر ، بدليل قول عمر بن أبى ربيعة :

ولها اثيث كالكروم مذيل
حسن الغدائر حالك مضفور

وانهن كن يعرفن الشنيون بدليل قوله :

سبته بوحف فى العقاص موجل
اثيث كقنو النخلة المتكور

وانهن كن يعرفن المانكير بدليل قوله :

ومخضب رخص البنان كأنه

علم ومنتفخ النطاق وثير

فاستعمال الاكلادور اذن لم ينتشر فى عصور الانحطاط

كما كانوا يعلموننا فى المدارس مستشهدين بقول القائل :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت

وردا وعضت على العناب بالبرد

اى عضت بأسنانها على اظافرها المدهونة ، وانما كان

شائعا فى المائة الاولى ٠

قال صانع الاقنعة : من اراد مزيدا من التوثيق فليرجع

الى صبح الاعشى والى الاغانى ٠ لقد تجاوزنا الوقت المقرر

لاستعمال المانيكير والباديكير عند العرب ٠

رفعت الجلسة ٠

× **المحاورة الثانية** ×

فى المرأة الذهبية وسلوكها الذهبى

صانع الاقنعة : المعلم العاشر أوضح فى الجلسة السابقة ان عنيزة صاحبة امرؤ القيس وعائشة بنت طلحة صاحبة عمر بن ابى ربيعة كانتا تترددان على الكوافير وتستعملان المانيكير ، وأثبت من كلام المعرى ان العرب كانت عندهم مدارس بنات . هل بينكم من ينكر هذا ؟

أبو الفتوح الصباح : حتى اذا كان هذا صحيحا فلابد ان الحلاقات ـ استغفر الله ـ كن من النساء والمؤدبات كذلك ، وان تعليم البنات كان يقف عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين .

المعلم العاشر : ولكن تعليم البنين فى العصر الذهبى كان يقف أيضا عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين . نحن لم نسمع عن كليات حقوق وهندسة وصيدلة وطب بيطرى ومعاهد تكنولوجيا فى العصر الذهبى ، لان الحرف

والصناعات كانت تتوارث فى الاسرة وفى الورش يلقنهـــا المعلمون للصبيان ، تماما كما كان يحــدث فى أوروبـــا فى العصور الوسطى ٠

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ابو المفتــوح الصباح يقتــرح اذن أن يصــدر مجـلس االامــة تشريعين : قانون يحرم على الرجال الاشتغال بمهنة كوافير الســيدات وقانون بالغــاء الكليات النظرية والعملية والمعاهـد العليــا والمدارس الثانوية والاعدادية حتى نرجع الى العصر الذهبى ٠ يجب الاكتفاء بالتعليم الابتدائى ٠

مجاهد بن الشماخ : الوالى وليس مجلس الامـــة ٠ فالعصر الذهبى لم تكن فيه مجالس امــة ولا هــذه السخافات المستوردة التى تسمونها برلمــانات ٠

صــانع الاقنعــة : نقطــة نظــام ٠ هــذا خــروج عن الموضوع ٠ موضوع نظام الحكم يبحث فى جلسة قادمــة ٠

أبــو الفتوح الصباح : قانون الكوافيرات نعم ٠ امــا الغــاء الجامعات وكل مراحل التعليم فوق الابتدائى ٠ فهــذا شطط واساءة فهم لمعنى الرجعية ٠ العلم نـــور ٠ وكل مزيد من التعليم نور على نور فى قلب الانسان لا فى عقله ٠ واذا كان ذهب العصر الذهبى من عيار ١٤ فمن الانفع ان نجعلــه عيار ٢٤ ٠ وانما المهم ان يملا العلم قلب الانسان بالايمـــان والفضيلة والا تذهب البنات الى المــدارس الا فى الزى الرسمى

لنساء العصر الذهبى · وقـد نسى الميثاق ان ينص على هـذا ولابد من استكمال هـذا النقص · والـزى الرسمى لنسـاء هـذا العصر الذهبى هـو الفستان المقفـل عند الرقبة والمتدلى حتى الكعبين والاكمام الطويلة حتى الرسغين ، أمـا الوجـه فيمكن ان يسفر أثنـاء المحاضرات وفى أوقات العمل الرسمية ولكن لابـد من طرحة على الراس تخفى أولا عورة الشـعر ويمكن ثانيا اسدالها ورفعها بحسب الظروف · اسدالهـا فى الشارع مثلا ، وفى السينما أو المسرح وقت الانتراكت واضاءة الانوار · ويمكن لتسهيل هـذه العملية التحكم فى الطرحـة بكردون وبكر يثبت فى الخصر على طريقة الستائر · ثـم لابـد من قانون بتخصيص بلاجات خاصة بالنساء وبلاجات خاصة بالرجال · رحم اللـه الشيخ ابو العيون ·

المعلم العاشر : هـذه صورة غير دقيقة عن نسـاء العصر الذهبى فمن الشعر العربى نعرف ان نسـاء العصر الذهبى كن يتبخترن عرايا على البلاجات واحيانا فى غير البلاجات · خـذ مثلا « المتجردة » زوجـة النعمان بن المنـذر ملك الحيرة كان النابغة الذبيانى يتجول فى ابهاء قصرها فرآها تتجرد ·· اعتقـد انهـا كانت تتجرد « داخل » الحمام ، وان النابغة كان ينظر اليها من ثقب الباب ، لان الوصف يوحى بأنهـا كانت تحس بوجود متفرج ، وقال النابغة الذبيانى فيها :

سـقط النصيف ولـم ترد اسقاطه

فتنـاولته واتقتنـا باليـد

والنصيف ليس بالضبط البيكينى ، ولكنه ازار أو فوطة أو ربما بشكير ، وعلى أية حال فسقوطه كشف عن كل شيء ولهذا « اتقتنا باليد » . شعر القدماء يثبت أن نساء العصر الذهبى كن كنساء اليوم يتبخترن عرايا على بلاجات البصرة والحجاز . فمعلقة امرىء القيس تشير الى مغامرة كانت للملك الضليل على بلاج جلجل ، وهو شاطىء بركة بجوار البصرة فيما يقال ، فهو يقول :

الا رب يوم لك منهن صالح

ولا سيما يوم بدارة جلجل

وتفسيرها فى كتب العرب ان امرأ القيس لعب نفس اللعبة التى لعبها من قبله الاله كريشنا فى ادب الهنود ، ففاجأ البناتوهن يغتسلن فى بلاج جلجل واخذ ثيابهن وقعد عليها ، وابى ان يعطى كلا ثوبها حتى تخرج اليه عارية وتأخذه منه بنفسها ولو ظلت فى الغدير الى الليل . وغلبهن الحياء أولا فمكثن فى الماء حتى ارتفع النهار ، ولكنهن خفن أخيرا من الألتهاب الرئوى أو الانفلوانزا الحادة على اقل تقدير فرضخن وخرجن الواحدة بعد الاخرى . وكانت اشدهن حياء حبيبته عنيزة ،ولكنها فى النهاية رضخت مع الراضخات . واحسسن بالجوع فذبح لهن ناقته فأكلوا وشربوا فياسكة من أفخر النبيذ، وطربوا وغنوا ثم حملته عنيزة معها داخل هودجها بعد ان فقد ناقته ، وبعد

الاقداح كانت القبلات • ولم يكن هناك على بلاج جلجل بوليس آداب ليمنع كل هذا • فانظر كيف تقدمت آداب المحدثين على أداب القدماء •

أبو الفتوح الصباح : النعمان بن المنذر وامرؤ القيس عاشا فى الجاهلية • هذا لا يقاس عليه •

المعلم العاشر : نفس هذا المشهد تكرر بعد سنوات حين نزلت البنات بلاج الغيل فى الحجاز فأخفى الشاعر ثيابهن واذا قلت ان النعمان بن المنذر وامرأ القيس كانا فى الجاهلية فما قولك فى حكايات عمر بن ابى ربيعة وغيره مع نساء العصر الذهبى فى المائة الاولى ، أو على الاقل قبل ان تسوء سمعة المجتمع العربى بما قاله ابو نواس وما فعله هو وجيله السيء السمعة • والغيل بركة أو بحيرة أو نبع قرب مكة • أو لعله غابة تجرى فيها جداول المياه كما ورد فى «اللسان» وليس من الضرورى أن يكون اسم البلاج مضحكا مثل جلجل أو غريبا مثل الانفوشى أو صعبا مثل جليمونوبولو أو أعجميا مثل الريفييرا لنسميه بلاجا • انظر مثلا الى بلاج جمصة الذى كنا فيه • من رآه ظن انه فى فلوريدا أو كاليفورنيا ومع ذلك فاسمه جمصة ومحافظة الدقهلية لا تخجل من ذلك ومن اقام فيه نسى ان مصر تجرى فيها تجربة اشتراكية •

صانع الاقنعة : أنت تستطرد ، عد الى الموضوع الاصلى •

المعلم العاشر : الموضوع الاصلى ؟ عمر بن أبى ربيعة

كانت هوايته الخاصة التسكع فى مواقع الغيد على البلاجات ، وآداب المحدثين ليست احط من آداب القدماء ، انظر الى الدالية :

ولقد قالت لجارات لها
وتعرت ذات يوم تبترد :
اكما ينعتنى تبصرننى !
عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها :
حسن فى كل عين من تود
حسدا حملنه من أجلها
وقديما كان فى الناس الحسد

فعمر بى أبى ربيعة لم يكن فقط يتلمظ بمرأى البنات على البلاج من بعيد ، ولكنه كان على بعد مترين ، والا فكيف استطاع ان يسمع كل هذا الحوار ؟ ثم ان التقبيل نفسه فى العصر الذهبى كان على احدث طريقة سينمائية نستهجنها فى غرام العصر الحديث ، وتقصها الرقابة من أفلام م٠م و ب٠ب واعتقد انها قصتها مؤخرا من « الدولشى فيتا » ومن « هيروشيما يا حبى » ، وهى أن يمسك الفتى بالبنت من شعرها ويقبلها ، ففى شعر عمر بن أبى ربيعة انها :

قالت : وعيش ابى وحرمة اخوتى
لا نبهن الحى ان لم تخرج

فخرجت خــوفـ يمينها فتبسمت

فعــلمت أن يمينهــا لم تحـــرج

فلثمت فاهــا آخـــذا بقرونهــا

شرب النزيــف ببرد مــاء الحشرج

والقرون بـــلا مؤاخــذة هى الشعــر والحشرج اســـم نبع • ولــو ان عمر بن آبى ربيعة كان وحـده فى هــــــــذا المضمار لقلنــا انهــا حالة فردية لا يجوز لنــا أن نستخلص منهــا صورة رجـــال العصر الذهبى ونسائه • ولــكن أمثاله كانوا كثيرين • مثـــلا عبد اللـــه بن قيس الرقيـــات وهـــو أيضـــا من قريش كان يعشقهن ثلاثا ثلاثا ، وقــد ســـمى بالرقيات لانـــه احب ثلاث بنات كل منهن باسم رقيــــــة ، وجميل بن معمــر ، وقد كان من الشـــباب الارستقراطى فى بنى عــذرة ، قال صراحـــة انـــه يفضل غزو القلوب على غــزو الامصـــار :

يقولون جاهــد يا جميل بغــزوة

وأى جهـــاد بعــدهن اريــــــد ؟

لكـــل حـــديث بينهن بشـــــاشة

وكـــل قتيــــــل بينهن شـــــهيد

ونحن عـــادة لا نفكر طويلا فى الطريقة التى تســــلق بها روميو من حديقة آل كابيوليت الى مخدع حبيبته جولييت ليقضى معهــا الليــل • ولا اظن انــــه تسلق على المواسير ، والارجح انـــه استعمل سلما مجـدولا من الحبال الحريرية • تقولون : ولـــماذا الحريريه ؟ اقول لتنسجم مع الجـــو العاطر

فى حديقة الورد ومع الليل الساجى والنسيم الهفهاف وصدح العنادل فى الليل والقبرة مع أول أنفاس الفجر . والفرزدق مر بتجربة مشابهة فى البصرة فيما اعتقد كما يستفاد من وصفه :

هما دلتانى من ثمانين قامة
كما انقض بازاقتم الريش كاسر
فقلت ارفعا الامراس لا يشعروا بنا
واقبلت فى اعجاز ليل أبادر

الارجح ان « هما » تعود على سيدة الفؤاد وجاريتها ولا تعود على سيدتين تربعتا على فؤاد الفرزدق أو استقبلتاه فى سرير واحد . أقول هذا على الاقل احتراما للفرزدق وصاحبته . وهو موقف يذكرنا بماكان يفعله اللورد بيرون مع الكونتيسة جيتشيولى ويبدو ان الفرزدق كان متمرنا على الصعود والهبوط بالامراس (أى الحبال) ، لان هبوطه السريع كانقضاض الباز الكاسر يثبت انه كان يعرف موضع قبضته من الحبل كالبهلوان ولكنى لا اشك فى ان خيال الفرزدق كان خصبا الى حد المغالاة ، بل واتهمه بالفشر على الاقل فى وصف التفاصيل . فهو يقول انه تدلى من ثمانين قامة ، وثمانون قامة معناها ١٤٠ مترا ، اى ان شقة المحبوبة التى قضى معها الليل كانت فى الدور الثلاثين . ولا اعتقد أن البصرة عرفت ناطحات السحاب فى المائة الاولى لان الاسمنت المسلح والاسانسيرات لم تكتشف الا فى القرن التاسع عشر . ثم انه لا شك يفشر حين يقول : فقلت ارفعا

الحبال حتى لا يشعروا بنا وانه افلت فى اعجاز الليل يبادره قبل ان يدركهم نور الفجر فيفتضح امرهم . فلو انه قال من هذا شيئا يمكن أن يسمع على ارتفاع ١٤٠ مترا لأيقظ العمارة كلها ، بل والحى كله على الفور وطارده العسس واهل الحبيبة قبل ان يتاح للمراتين المسكينتين ان ترفعا الامراس .

وغير عمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر وعبد الله ابن قيس الرقيات والفرزدق هناك الشاب الجميل وضاح اليمن ، وهو من أبناء ملوك اليمن ، والعرجى ، وهو من ارستقراطية قريش ، وعدد لا يحصى من شعراء العصر الذهبى يثبتون بشعرهم ان نساء العرب فى العصر الذهبى لم يكن يختلفن كثيرا عن نساء اليوم على الاقل فى الفضيلة أو فى نقص الفضيلة .

مجاهد بن الشماخ : سيدى الرئيس ، هذا تخريب لتراثنا .

أبو الفتوح الصباح : كل هذه حالا فردية لا يقاس عليها والشعراء يتبعهم الغاوون .

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ولكنكم تدرسون هؤلاء الشعراء فى المدارس والجامعات ، هل تقترح سن قانون بالغاء تدريس الادب العربى من المدارس والجامعات ؟

مجاهد بن الشماخ : مستحيل ، نحن أفنينا حياتنا فى

تحقيق هـذا التراث ونشره ٠ .نحن نطالب وزارة الثقافة بأن تخصص كل ميزانيتها لنشر التراث العربى ٠

الايـديولوجى الفهلوى : ومـا اعتراضك اذن ؟ هـل تطالب بنشره بشرط الا يقرأه الناس ؟

أبـو الفتوح الصباح : هؤلاء الشعراء لا يعطون صورة صادقة عن حياة العرب فى العصر الذهبى ٠ النساء الفاجرات يعشن فى كل عصر من العصور ٠

المعلم العاشر : لا تغضب ٠ ان شعراء العصر الـذهبى لـم يكونوا يترددون على النسـاء الفاسدات أو على البغايا بل كانوا يترددون على سيدات الاسر وبنـات العائلات ٠ والا فما معنى كل هـذا الاختلاس والتسلق والدخـول من الشبابيك تحت جنح الظلام ؟ وقـد عرف عمر بن ابى ربيعة وحـده منهن عـددا وفيرا وعينهن بالاسم ، مثل عائشة بنت طلحة ونعم والرباب وهنـد وعفراء والثريا والنوار واسماء وليـلى ولبابة ورملة وكلثم وفاطمة بنت محمد الاشعث الكنـدية وغيرهن ، وعناوينهن كلهـا مذكـورة ومحققـة بالكـامل فى « الاغانى » ج أ طبعة دار الكتب وفى ديوان عمر بن أبي ربيعة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومنهـا يتبين أنهن جميعـا من أسر محترمة مع الاحترام التام لهـذه الاسر ، فالمثل يقول « يخلق من ظهر العالم فاسد » ٠ كذلك كان رجال العصر الذهبى يدلعون ، اقصد يدللون ، نساء العصر الذهبى كما نفعل نحن اليوم بنسائنا فنقول سوسو وشوشو ٠ كانوا

يقولون « سكن » لسكينة و « بثن » لبثينة و « عـز » لعزة : مثلا : « وحبك يا سكن الذى يحسم الصبرا » فى عمـــر بن أبى ربيعة و « كما شغف المجنون يا بثن بالخمر » فى جميل ابن معمر « ومن ذآ الذى ياعز لا يتغير » فى كثير عزه ، وكانوا يضربون المواعيـد كما نضربها اليوم فى الاورمان او فى جنينة الحيوانات أو فى كازينو الشجرة أو فى استيريو الهرم • مثلا رسول عمر بن ابى ربيعة :

فأتاها فقـال : ميعادك السر
ح اذا الليـل اسدل الاســــتارا

ونساؤنا الآن يستعملن الشـانيل والكارفن ماجـريف والاربيج والاوبيجان والشيفالييه دورسيه بمنتهى الحرص والاقتصاد ويكتفين بنقطة أو نقطتين فى الشعر أو تحت الاذن وأحيانا فى المـلابس الداخلية • ولكن قارىء معلقة امـرىء القيس يعرف ان نساء الزمان الغابر كن يدلقن العطور دلقـا على الفراش •

ويضـحى فتيت المسـك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وعلى الثيـاب :

اذا قامتـا تضوع المسك منهما
نسيم الصـبا جـاءت بريا القرنفل

وكانت تحدث بينهم المطاردات الغرامية • انظروا الى هـذه المطاردة التى قام بهـا عمر بن ابى ربيعة وصاحبه بكر على ظهـور الابل وتذكروا مـا يفعله شباب هـذه الايـــام

على الاقدام بين أمريكين عماد الدين وامريكين سليمان باشا او فى سيارات نصر وهى تطارد سيارات تاونوس عند برج القاهرة أو فى سكة الهرم :

شكوت الى بكر وقد حال دونها
منيف متى ينصب له الطرف يحسر
فقلت : اشر • قال : ائتمر ، أنت مؤيس
ولم يكبروا فوقا ، فما شئت فأمر
فقلت : انطلق نتبعهم ، ان نظرة
اليهم شفاء للفؤاد المضمر
فلما اضاء الفجر عنا بدا لنا
ذرا النخل والقصر الذى دون عزور
فقلت اقترب من سربهم نلق غفلة
من الركب والبس لبسه المتنكر
فقالت لاتراب لها : ابرزن اننى
اظن ابا الخطاب منا بمحضر
له أختلجت عينى اظن عشية
واقبل ظبى سانح كالمبشر
فقلن لها : لا بل تمنيت منية
خلوت بها عند الهوى والتذكر
فقالت لهن : أمشين ، أما نلاقه
كما قلت أو نشف النفوس فنعذر
وجئت انسياب الايم فى الغيل اتقى الـ
عيون واخفى الوطء للمتنفر

فلمــا التقينــا رحبت وتبســمت

تبســم مسرور ، ومن يرض يسرر

فيــا طيب لهــو ما هناك لهوتــه

بمستمع منهــا ويــا حسن منظر

فمن كان بطيئا فى فهم الشعر فمعنى هــذا الكــــلام باختصار ان عمــر بن ابى ربيعة وصاحبه بكرا : ابصرا ركب المحبوبة وصاحباتها فتبعاه حتى ادركاه ، ورغب ان ينفرد بهــا ورغبت ان تنفرد به ، فانسلخت من الركب وتحقــق الرنــديفو ٠

وفى الرائية المشهورة : « أمن آل نعم انت غاد فمبكر» « وهو يشبه قولنا » : « أتذهب مبكرا الى بيت البنت نعمت اونعمات أو نعيمة » يروى لنــا عمر بن ابى ربيعة كيف انه فعــل ما فعله دون جوان فى جناح الحريم بسراى السلطان فى استنبول ٠ اى تنكر فى زى فتــاة لكى يندس بينهن ، كــما ورد فى ملحمة اللورد بيرون ، ودخــل فى مازق ثم خرج منه ٠ ولا اعتقد ان شاعرا فى ايــة لغة بلغ هــذه الــدقة فى وصف حــديث العشاق المعاميد الــذى اختلطت فيــه الدماثة بالشبق وهما عــادة من صفات نساء الارستقراطية :

فحييت اذ فاجأتهــا فتولهــت

وكــادت بمخفوض التحية تجهــر

وقالت وعضــت بالبنــان : فضحتنى

وانت امرؤ ميسور امرك أعسر

أريتــك اذ هنــا عليــك الم تخف

وقيت وحــولى من عــدوك حضر ؟

فــو اللـــه ما ادرى : اتعجيل حاجة

سرت بك أم قد نام من كنت تحذر ؟

فقلت لها : بل قادنى الشوق والهوى

اليك وما نفس من الناس تشــعر

فقالت وقــد لانت وافرخ روعهــا

كـــلاك بحفــظ ربـــك المتكبـــر

فانت ابـــا الخطــاب غير مــدافع

عــلى امــيـر مــا مكثت مــــؤمر

فنت قرير العــين اعطيت حــاجتى

اقبــل فاها فى الخـــلاء فاكثـــر

فيالــك من ليــل تقــاصر طــوله

وما كان ليــلى قبل ذلــك يقصر

وهكذا قضى عمر بن ابى ربيعة ليلة ناعمة ، ولكن مـــا أن أوشك الليل أن ينقضى حتى وقعت الواقعة فدبت الحركة فى الحى وتأهب القوم للرحيل : « فلا راعنى الا منـــاد : ترحلوا وقــد لاح معروف من الصبح اشقر » ، ولم تصــب البنت بالــذعر بــل قالت لصاحبها : الان وقــد تنبه النـــاس ، « أشر كيف تأمر ؟ » لنخرج من هذه الورطة • فعرض عليها ان « يباديهم » أى ينقض عليهم بسيفه ، ولكنها رفضـــت قائلة : لا • هــذا يثبت ما يشاع عنــا ، فلنفكر فى حـــــل يسترنا لا فى حل يفضحنا ، وعكــذا كانت المرأة كالعادة اذكى

من الرجل • ولكنى يبدو ان الخطر اقترب منها فقد شحب وجهها ، ومضت الى اختيها ، أو لعلهما مجرد صاحبتين تستنجد بهما :

فقامت اليها حرتان عليهما
كساءان من خز دمقس واخضر
فقالت لاختيها : اعينا على فتى
أتى زائرا ، والامر للامر يقدر
فأقبلتا ، فارتاعتا ، ثم قالتا :
اقلى عليك اللوم فالخطب أيسر
فقالت لها الصغرى ، سأعطيه مطرفى
ودرعى وهذا البرد ان كان يحذر
يقوم فيمشى بيننا متنكرا
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجنى دون من كنت اتقى
ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

الا ترون معى ان التنكر فى زى النساء يدل على ان عشاق العصر الذهبى كانوا اكثر جراءة وأوسع حيلة من عشاق اليوم • أكاد اقطع بأن اى عاشق من عشاق اليوم لو ووجه بهذا الموقف لضربت معه لخمة ولما عرف كيف ينصرف •

الفارس المفروس : اسمحوا لى يا سادة • كل هذا طبيعى ، انتم تنسون ان فن التصوير وفن النحت اندثرا بين العرب بانتهاء الجاهلية الوثنية • فطبيعى ان يقوم الشاعر

مقام الفنـان التشكيلى فيرسم « بورتريهات » لسيــدات العصر الذهبى بالقلم والكلمة بـدلا من الرسم بالفرشـــة والالوان • وهــذا يفسر انتشار شعر الغزل فى العصر الذهبى وفى « الاغانى » ج ٦ ص ٢١٩ أن أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان وزوج الوليـد بن عبد الملك ارسلت الى كثير عزة والى وضاح اليمن تقول : « انسبا بى » • والنســيب أو التشبيب نـوع من الغـزل • فلنقـل انـه وصـــف محاسن المرأة ، وان ام البنين لم تكن تطلب من الشـعراء ان يتغزلوا فيهـا حقـا ، وانما أرادت منهم ان يصـــفوا محاسنها ، اى ان يرسموا لهـا بورتريه أو ينحتوا لهـــا تمثالا بـالكـلام على غرار مـا يفعل الفنانون • وقـد خـاف كثير من صولة ابيهـا فلم يصفها بـل وصف جاريتها ، أمـا وضاح اليمن فقد شبب بهـا فنـال عقابه • تربص به رجـال الوليـد وقتلوه بدفنه حيـا •

المعلم العاشر : ربما كان هــذا صحيحا ، ولكنــه لا يفسر المواعيـد الغرامية فى السرح والغيل ولا المطـــاردات ولا التنكرات والتسلق بالحبال لولـوج المخادع ولا المشاورات الطريفة بين البنات والبنات وبين الرجال والرجال فى افضل الطرق لدخول دنيـا الحب والخروج منها • ان دراستنا للادب العربى تقف دائما عنـد زخرف الالفاظ ولا تتوغل فى المعانى الا نادرا ولا تحاول أن تربط بينه وبين الحياة التى أنتجتـه وهـذا هـو سبب كراهية تلاميذنا لدراسة الادب العـربى شعرا ونثرا رغم الجهود الجبارة التى نبذلها لنشره على أبنائنا

فى المـدارس • أنـا مثـلا أعتقد أن الادب العـربى متخـلف جداعن الادب اليونانى ، ولكنى اعتقـد انه لا يقل شموخـا عن الادب اللاتينى بما فى ذلك فرجيل وهوراس وأوفيـد • ولكننـا حنطناه لاعتقادنا أن التراث لا يكون تراثا اذا عاش معنا وعايشناه ••• ان التلميذ المصرى مثلا لا يعرف ان أبناء المـائة الاولى كانوا مثلنـا اناسا يحبون ويعشقون ويتألمون ويفرحون ويقتلون ويزنون ويدسون ويتآمرون ويغـدرون ويخلصون وانهم كانوا مثلنـا يحبون الجـسد ويتجهمون ويحبون الحظ ويفرفشون ، وانـه لمـع بينهم اقطـاب المغنين مثل ابن سريج والغريض ومعبـد ، وكلهم من فنانى الحجاز تألقوا فى المـدينة المنورة تألق محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حـافظ وفريـد الاطرش فى القاهرة الان • قالوا وكان رابع هؤلاء العباقرة حنين الحيرى فى العراق ، فكتب ثلاثتهم اليـه خطابا يدعونه فيه لزيارة المـدينة • قالوا : نحن ثـلاثة بالحجاز وانت وحـدك بالعراق ، فأنت اولى بزيارتنا • والمهم فى هـذا ما جـاء فى « الاغانى » من وصف الهستيريا التى استولت على اهـل المـدينة عنـدما علموا باقتراب مـوكب الموسيقار حنين هـذا ، وهى تشبه الهستيريا التى تستولى على اهـل لنـدن أو باريس أو نيويورك فيتجمعون بالآلاف فى المطـارات حـاملين الكورونات وكارنيهـات الاتـوجراف والكاميرات كلما نزل الخنافس أو جـونى ماليداى أو الفيس بريسلى ، فيتشنج الرجال ويغمى على النساء • قالوا : فشخص اليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره

فخرجوا يتلقونه ، فلم يـر يوم أكثر حشرا ولا جمعـا من يومئـذ • هـذه صورة من صور الحياة اليوميـة فى العصر الذهبى تـدل على أن رجـاله ونساءه كانت لهم قلوب مثـل قلوبنا • فلم كل هـذه الجهامة التى ترتسم على وجـه أبـو الفتوح الصباح وصاحبه مجاهـد بن الشماخ • ليس صحيحا ما قاله أبو الفتوح الصباح من أن نساء العصر الذهبى كـن مثال الفضيلة وان نساء عصرنا مثال الرذيلة • هـل اقتنعت يـا سيدى ؟

مجاهـد بن الشماخ : كلا • كلامك غير مقنع ، بـل هـو اشبه بسمادير المخمورين • وانـا لا افهم كيف يـؤذن لـدعى جاهل مغموز ملموز شرلتان مثلك ان يتكلم فى تاريـخ العرب وادبهم وانت الـذى دربك المبشرون والمستشرقـون عملاء الاستعمار الصليبى لافساد حضارة العرب وعقيـدة العرب •

صانع الاقنعة : محال ان اسمح بهـذا السباب • انـه خروج على الميثـاق ، ان كانت لديك وجهـة نظر فاشرحهـا ولكن حـذار من التطاول والا اخرجتك من الجلسة • أرى من حالتك النفسية انك اذا بـدأت الكلام فـلن تتوقف ، والوقت ازف • فالى اللقـاء فى الجلسة القادمة •

رفعت الجلسة •••

× المحاورة الثالثة ×

فى المـــرآة

قال صانع الاقنعة : انت يا مجاهد بن الشماخ طلبت الكلمة وستكون اول المتكلمين فى جلسة اليوم • ولكن تذكر ما وعدتك به فى الجلسة السابقة اذا لجأت الى السباب•

مجاهد بن الشماخ : انا لم الجأ الى السباب وانما كنت أمارس حقى فى الهجاء والهجاء فن معترف به من فنون الشعر العربى ، وله تقاليد راسخة فى بلاغة العرب ، بل اكاد اقول انه يمثل ربع تراثنا من الشعر العربى • فاذا كان ربعه للنسيب وربعه للفخر وربعه للمدح فربعه الرابع للهجاء ، اما شعر الرثاء فمجرد متفرقات هنا وهناك لا يعتد بها ، واما وصف الطبيعة والحكم والتأملات وغيرها فقد جرت تقاليد العرب أن تكون « من الباطن » اى يحشى بها بطن القصيد حشو الفريك داخل الحمام وهى لا تطلب لذاتها ، فهى ليست فنونا ادبية معتمدة عند العرب • ولم يشذ عن هذه القاعدة الا العتاهى والمعرى

وشعراء الصوفية • فالعرب اذن قد جعلت من السباب فنا جميلا وسمته الهجاء ••• كما جعلت من الملق فنا جميلا سمته المدح • فاذا كنت قد قلت للمعلم العاشر انه دعى وجاهل وشرلتان وان كلامه صديد فى صديد أو من سمادير المخمورين أو انه صبى المبشرين وعميل المستعمرين ، فهذه كلها صور فنية غاية فى الذكاء ، ومعان مبتكرة لم يسبقنى اليها احد من القدماء، وانتم تعرفون ان ابن قدامة وابن سلام والجرجانى وابن قتيبة والآمدى وابا هلال العسكرى وابن طباطبا كانوا لايغتفرون لشاعر أو ناثر انه كرر معانى غيره أو الفاظه ويسمون هذا سرقة ادبية • وقد حافظنا نحن سدنة التراث العربى على تقاليد الهجاء حتى لا ينقرض هذا الفن الجميل • فمصطفى صادق الرافعى مثلا كان يسمى عباس العقاد « العقاد اللص » و « الشاعر المراحيضى » وكان يضعه على السفود وهو خازوق أو سيخ لشى الكباب وناظر مدرسة ابن العميد الجالس هناك كان يقول ان خولة المايسطرية تمسك بقلم الشيخ الغليظ ويقصد بالغليظ القلم لا الشيخ ، وهو زوجها ، وقد نشر هذا على نفقة الدولة فى مجلات وزارة الثقافة ، لانه ظريف وجميل ولانه يحافظ على تراث البلاغة العربية وفى وزارة الثقافة ادارة لاحياء التراث العربى ، فهو يطبع على ميزانية احياء التراث وقد أوشك هذا الفن ان ينقرض منذ ان ظهر المعلم التاسع قاتله الله أو على الاصح منذ ان عاد هو ومدرسته من أوروبة ، فأخذ يهجو خصومه فى الرأى بعبارات

مثل قوله : « فليسمح لى سيدى ان اختلف معه فى بعض ما ذهب اليه ، وانا زعيم بأن اختلاف الراى لا يفسد للود قضية » او مثل قوله : « ومهما يكن من شيء فانى أوشك ان اختلف مع سيدى فى بعض ما ذهب اليه » وغير ذلك من التراكيب الاعجمية المستوردة من الخارج ، وهى تراكيب دسها علينا المبشرون الصليبيون والمستشرقون للقضاء على البلاغة العربية وابادة الهجاء العربى ... وهل هناك أجمل من قول الخطيئة :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

انظر الى التورية فى كلمتى « كعب » و « كلاب » فهما اخس ما فى الانسان واخس ما فى الحيوان وهما فى الوقت نفسه اسما قبيلتين من قبائل العرب ، وهل هناك اقوى من قول المتنبى فى سلطان من سلاطين مصر ..

لا تشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لأنجاس مناكيد

انه قول صالح لكل زمان ومكان ، ولو ان لومومبا قاله لتشومبى لما آل الى هذه الكارثة الحزينة . اقول لولا مجلات وزارة الثقافة لاندثر هذا الفن الجميل ، والحمد لله الذى كشف الغمة وبعث مجد الآباء والاجداد ، وجدد العصر الذهبى للهجاء ، فانا الان استطيع كلما خوى وفاضى ان اقتحم على اى كبير من كبار القوم مكتبه قائلا :

فجـد لى يـا ابن نـاقصة بمال

فانى قـد عزمـت على المســير

فيخاف باسى ويوقع لى على ما شئت من صكوك ، هذه التى تسمونها شيكات : أو أذونات صرف ، فان أبى أن يوقع اردفت هـذا بقولى :

قـوم اذا استنبح الاضياف كلبهـم

قـالوا لأمهـم بـولى على النـار

فيكون لقولى وقع السحر فى نفسه لانـه يـدرك انى قـد بـدأت الهجاء بالام والاب ... نعم ان فن الهجاء ذن أرفع من فن المـدح لان المـال او المجـد ان جـاء عن طريق الملق كان استجـداء، اما ان جـاء عن طريق الارهاب فهـو بأس وسؤدد . وانـا لا اطالب الا بحقى فى ان اجرب بلاغة العرب فى هـذا المعلم العاشر الصعلوك ، هـو وقبيلته وتومه بعـد ان اجرده من كافة القابة العلمية التى حصل عليهـا بوسائل مريبة من جامعات المبشرين.

صانع الاقنعة : انـا نبهتك اكثر من مرة ان هـذا مناف للميثاق ، ادخل فى الموضوع أو دع غيرك يتكلم .

مجاهـد بن الشماخ : لا بأس . لقـد صور هـذا الرجل

صانع الاقنعة : اسمه المعلم العاشر .

مجاهـد بن الشماخ : انـا لا اعترف بهـذا اللقب .

صانع الاقنعة : هل تعترض على لقبك ايضا ؟

مجاهـد بن الشماخ : كـلا ، فهو يناسبنى تماما ٠ وهو ليس قناعا بـل حقيقة ، فجـدى الاعلى هـو الشماخ ابن ضرار قطب شعرآء الجاهلية ، وانـا مجاهـد بالفعل ٠

صانع الاقنعة : هـو الـذى صنع لك القناع فلمـاذا أنت غاضب عليـه ؟

مجاهـد بن الشماخ : هذه قصة أخرى سأرويها فيمـا بعـد ٠ اما الان فانا اقول ان المعلم العاشر زعم كما زعم المعلم التاسع من قبله ان شعر الغرام القانى فشـا فى الحجاز فى اوائل حكم بنى امية ٠ والحقيقة ان شعر الغرام القـانى والغرام الباهت وكل انواع الغرام فشـا فى كل عصر من عصور الدولة العربية لان العرب بسليقتهم عشاق معاميد ، وانـا لا أوافق ابا الفتوح الصباح فى تصوره أن العصر الذهبى كان خاليا من الغرام ، فأبو الفتوح الصباح أحول او أعـور يرى ادب الدين ولا يرى ادب الدنيا ٠

أبـو الفتوح الصباح : أتشتمنى ؟ أنـا صديقك ٠

مجاهد بن الشماخ : انا لا اشتمك ولكنى أصحح آراءك عن العصر الذهبى ، الدولة العربية كلهـا عصر ذهبى ، وكل مـا فيها ذهب ٠ حتى الجاهلية الاولى ذهبية وهـذا هـو الفرق بيننـا نحن المثقفين العرب وبينكم معشر الروحانيين العرب نحن نقول أن دولـة العـرب دين ودنيـا ، وأنتم

تقولون انهـا دين فقط ، ولهـذا سنصل نحن الى الحـــكم أمـا أنتم فستمهدون لنا الطريق • انتم تكتوون بالنار ونحن نأكل الكستناء كما يقول الخواجات • وهـذا هو سبب فشل جـدك الاعلى حسن الصباح مقـدم الفداوية وشيخ طريقة الحشاشين رغم انـه برز فى الحروب الصليبية وهو أيضـا سبب فشل ابن عمك آيـة آللـه كاشانى فى ايران فى السنوات الاخيرة • لا تترك آلدعوة الباطنية ولكن ادخـل الاتحــاد الاشتراكى ، وبهـذا تكون لك كوادر سرية وكوادر علنيـة فى حى الباطنيـة •

صانع الاقنعة : ما هـذا الكلام ! انتما تتآمران لقلـب نظـام الحـكم ؟

ابـو الفتوح الصباح : لا • أبـدا • انـا لا تربطنى بهـذا الرجل الا رابطة فكرية •

صانع الاقنعة : نحن كنـا نتكلم فى الادب والحياة ••• فمـا دخـل السياسة ؟

مجاهد ابن الشماخ : السياسة تـدخل فى كل شىء • فمثلا تعـددت الآراء فى اسباب تفشى شعر الغرآم فى الحجاز فى أوائل حكم بنى أمية ، فصاحب « حـديث الاربعـاء » يقول آن شعر عمر بن ابى ربيعة وفرقة الشعراء العشـاق كان يمثل صورة حقيقية لمجتمع ارستقراطى مترف متـأنق انتشرت فيه الصالونات الادبية • وهناك رأى بأن بنى امية

ارادوا ان يستأثروا بالحكم فى الشام فشجعوا هذا الترف فى الحجاز لعزله سياسيا وشغل شبابه عن الحياة العامة بسفاسف الفن والادب وبمتع الحياة ، وهذا ليس بمستبعد وعندنا أمثلة فى التاريخ ... فالصليبيون الامريكان علموا الا يروكوا والشيروكى والسيو والسجنولو واليوت وغيرهم من قبائل الهنود الحمر شرب الجن لينصرفوا عن القتال ويتركوهم يمرحون فى البلاد . وكذلك فعل الصليبيون الاوروبيون بزنوج افريقيا : فتحوا بلادهم بالخمر والخرز . ولكن الارجح فى نظرى هو ان شعر الغزل هذا لم يكن الا لونا من الوان القذف السياسى قصد به الشعراء تلويث سمعة خصومهم بالتعريض بنسائهم المحصنات وتصويرهن فى صورة الزانيات الفاجرات ، الم اقل لكم ان القذف فن جميل وله تقاليد راسخة فى الادب العربى ؟

أبو الفتوح الصباح : انا اعتقد ان كل ماروى عمر ابن ابى ربيعة والعرجى وجميل بثنية والرقيات ووضاح اليمن والاحوص وآلاخطل وغيرهم فى شعرهم من مغامرات نسائية مع كرائم العقائل ليس الا اقاصيص من نسج الخيال والكذب فى سبيل الفن رخصة أعطيت للشعراء من أقدم العصور ، والى الآن فيما اعتقد . فشعر هذه الفترة لا يصلح أن يتخذ مرآة لذلك العصر . وصورة الشاعر يقتحم أو يتسلل الى مخادع البنات صورة شعرية قديمة ورثها

شعراء صــدر الاسلام عن شعراء الجاهلية • نجـدها مثـلا فى امرىء القيس ونجـدها فى المنخل اليشكرى :

ولقـد دخلت على الفتاة الخدر فى اليوم المطير

الكاعب الحسناء ترفل فى الدمقس وفى الحرير

المعلم العاشر : ربما • ربما • ولكن هـذا لا يفسر كيف ان دواوين عمـر بن أبى ربيعة وعـديد من معاصريه ليست الا سلاسل محكمة الحلقات من قصائد لا تخرج عن هـذا المعنى : معنى التواعـد واللقاء أو التسلل الى المخادع • والارجح ان شعراء العصر الذهبى كانوا يفشرون فى وصف هـذه الدون جوانيات أو على الاقـل يغالون بعض الشىء ، وهـذا ضعف انسانى تجـده فى كل العصور • ولكن مجرد تفشى هـذا الاتجاه الادبى اكثر مما الفـه الناس فى الجاهلية ومجـرد سـماح مجتمـع العصر الذهبى بتفتيشه يدلان على نـوع من السماحة والقبـول لهـذه « الموضـة » الادبية • ثم أننـا لـم نسمع ان احـدا اقام الحـد على عمر بن ابى ربيعـة رغم اعترافه بالزنـا أكثر من مائة مرة فى قصائده ، والاعتراف سيد الادلة ، بـل هـو يذكر أسماء وعناوين من زنى معهن من النساء دون حرج ، واكثرهن من سيدات المجتمع المعروفات ومع ذلك لا يتعرض له أحـد • وواضح من سير شعراء العصر الـذهبى ان ما لقيه وضاح اليمن أو الاحوص أو الرقيات أو الاخطل من العنت أو التهديد لم يكن بسبب دخولهم مخادع

السيدات ، ولا بسبب اجترائهم على نساء وراءهن سيوف طويلة من نساء كبار رجال الدولة ، على طريقة : « اذا سرقت اسرق جمل واذا عشقت اعشق قمر » . فبعض من وصفهن هؤلاء الشعراء كن ملكات جمال مثل عائشة بنت طلحة تحدثت بجمالهن كتب العرب ، ولكى اقرب لكم الصورة تصوروا مثلا ان عبد الرحمن الخميسى أو عبد القادر القط أو صلاح عبد الصبور أو أحمد حجازى كتب قصيدة في هذه الايام تباهى فيها بليلة حمراء قضاها مع زوبة المناويشى زوجة الدكتور محمود الدنديشى رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للكرافتات والبابيونات والخرق الحريرية ، وفى فيللا الدكتور نفسه خلف اندريا شارع الهرم. فماذا يكون الحال ؟ طبعا قضيتان : قضية قذف للتشهير تطبق فيها المادة كذا من قانون العقوبات (والحبس فيها واجب) ، وقضية زنا مع محصنة ، اى امرأة متزوجة (والحبس فيها واجب أيضا) ، وغالبا قضية ثالثة هى قضية طلاق بين محمود الدنديشى وزوبة المناويشى أو على الاقل علقة سخنة تبقى فى ذاكرة زوبة المناويشى لفترة طويلة . فسيف القانون اليوم أحد من « سيوف أبيك » التى ذكرها الشاعر في قوله : « فتكات لحظك أم سيوف ابيك » . وواضح اننا اليوم نقيم الحد بطريقتنا الخاصة على الزناة والقاذفين أكثر مما كانوا يفعلون فى العصر الذهبى وأننا لا نعلق

العقوبة على الاعتراف أو التلبس كما كانوا يفعلون بـل نكتفى بما تجمعه النيابة من أدلة .. وحتى لو افترضنا ان الخميسى أو القط او عبد الصبور أو حجازى مجرد فشار لا يفعل شيئا ولكنه يشنع ببنات الناس ، وان الفشر ، فشر الشعراء ، شيء معروف للخاص والعام ، فهذا قد يعفى من تهمة الزنا ولكنه لن يعفى من تهمة القذف . فاذا تصورتم ان اقتحام مخادع السيدات فى حراسة الخادمة والطباخ والشوفير وصبى المكوجى لم يعد موضوع قصيدة واحدة ينظمها الخميسى أو القط او عبد الصبور او حجازى بل اصبح الموضوع المفضل عند شعرائنا واشترك فيه عزيز اباظة وعلى الجندى وعبده بدوى وعامر بحيرى ومحمود عماد وبقية اعضاء لجنة المدرسة العمودية حتى أصبح سمة الادب العربى فى مصر عام ١٩٦٥ ، واذا تصورتم ان الامر تجاوز زوبة المناويشى الى كوكا وسونة ونوسة وريرى وزيزى وميمى وفيفى الدراويشى والملاميشى والفرافيشى والقراقيشى والحلمنتيشى ، وكلهن زوجات رجال من طبقة مديرى العموم من ذوى السيوف الطويلة ، ومع ذلك لا تخرج هذه السيوف من غمدها الا فى القليل النادر ، فماذا انتم قائلون ؟ وماذا سيقول المؤرخ الذى سيؤرخ لعصرنا عام ٢٥٠٠ ميلادية عن طبيعة الحياة فى هذا العصر ؟

نحن نعرف ان الكوكايين كان منتشرا فى مصر فى أوائل

العشرينات من نشيد حسن فائق ، المنسوب الى عبد الله شداد ، « شم الكوكايين خلانى مسكين » ، ومثله الحشيش من نشيد سيد درويش عن « التحفجية .. فشر يا دؤدؤ » كذلك نعرف ان الزواج من اجنبيات كان يمثل خطرا قوميا فى العشرينات من روايات يوسف وهبى وفى الثلاثينات من قرار لجنة البعثات بحظر الزواج من أجنبيات على طالبتنا فى الخارج • ومؤرخ الادب سنة ٢٥٠٠ سيقلب أدب عصرنا فيجد فيه أوصافا غريبة وتحليلات عجيبة لا نظير لها فى الادب العربى فى اى عصر من العصور لشخصيات مصرية تظهر لاول مرة على خشبة المسرح ، مثل طواف :عمان عاشور وفرفور بيوسف ادريس وخضرة سعد الدين وهبه وعبده افندى للطفى الخولى ، ويستنتج منها انه كانت فى مصر ثورة فقراء ومحاولة ضخمة لاعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية منذ ١٩٥٢ ، سيصل مؤرخ الادب الى هذه النتيجة حتى ولو لم يقع فى يده أى كتاب من كتب التاريخ لان ادبنا مرآة لعصرنا • وقد يكون مرآة منبعجة أو مقعرة كمرايا اللونابارك بسبب عقلية ادبائنا وتكوينهم النفسى ، ولكنه مرآة من نوع ما على كل حال • وسيجد مؤرخ الادب بعض التفكهة حين ينظر فيما سيبقى من ادبنا فيجده خاليا من وصف النساء خاليا من وصف الحب ، أو يكاد يكون خاليا . انا طبعا أفترض ان « انت عمرى » لن تعيش الى

سنة ٢٥٠٠ وان نساء رشاد رشدى سيعشن فقط حتى يحال الى المعاش ، فرشاد رشدى هو الوحيد الباقى بين كتاب مسرحنا الذى لا يزال يكتب عن النساء واحوالها وعن الحب وأوضاعه • سيبتسم مؤرخ الادب ويسائل نفسه : ترى ماذا جرى لهؤلاء القوم منذ ١٩٥٢ أو على الاصح منذ اندثار مدرسة ابولو فى الحرب العالمية الثانية ؟ نعم • لن يجد مؤرخ الادب عام ٢٥٠٠ فى شعرنا ومسرحنا اى دليل على ان مصر كانت فيها نساء فى عهد الثورة الا روايات احسان عبد القدوس ، ومن هنا اعمية احسان عبد القدوس التاريخية وضرورة المحافظة عليه لانه آيتنا الوحيدة أمام الاجيال القادمة على وجود الجنس الآخر فى عهد الثورة • أما نجيب محفوظ فستكون رواياته مفاتيح لاشياء أخرى اشد خطرا وعمقا : ستكون مفاتيح لتشنجات اجتماعية وانسانية رهيبة على مستوى الجماعة كلها تفصح عن نفسها من خلال تشنجات رهيبة تجتاح قلوب رجال ممرورين قلقين ونساء ممرورات قلقات •

كل هذا يؤكد أن شعر عمر ابن أبى ربيعة وجميل والرقيات ووضاح اليمن والعرجى والاخطل والفرزدق •• الخ يجب ان يكون مرآة للحياة العربية فى المائة الاولى أو ما نسميه العصر الذهبى • وقد تواتر فى شعر كل هؤلاء الشعراء

١ ـ ان نساء العصر الذهبى كن يتتبعن موضات الشعر

السائدة فى ذلك العصر ٠ ٢ ـ انهن كن يتتبعن احدث الازياء ويعرفن افخر أنواع الخز والحرير من الداماسية (الدمقس) والشانتونج واللاميه والناما والموار والفاى الى الجيبير والدانتللا ٠ ٣ ـ انهن كن يعرفن المانيكير والبديكير والمساحيق من احمرى واخضرى وأزرقى وكريم وبودرة وريميل وكحل لتزجيج الحواجب حتى تصبح العيون كعيون المها ، نعرف هذا من قول ابن الرومى فى وصف الطبيعة فى رونق الربيع : « تبرحت بعد حياء وخفر تبرج الانثى تصدت للذكر » ٠ ٤ ـ انهن كن يترددن على البلاجات غالبا بلا مايوهات سواء من قطعة أو قطعتين ٠ ٥ ـ انهن كن يتواصلن مع العشاق على الاقل العشاق الشعراء ، ويتواعدن معهم فى الخمائل والادغال وعند عيون الماء ، ويستقبلنهم فى الفراش بين المغرب والفجر سواء فى مضارب الخيام أو فى الطوابق العليا كما حدث للفرزدق ٠ وكل هذه الرذائل ، ان كانت رذائل ، لازمت بنات حواء من العصر الذهبى الى العصر الذرى ، والارجح انها لازمتهن ايضا منذ عصر الكهف ٠ الى العصر الذهبى ٠ هل قضيت على خرافة العصر الذهبى ٠٠ على الاقل بالنسبة للنساء ؟

مجاهد بن الشماخ : اذا كان هذا حقا فهو حق يراد به باطل ٠

صانع الاقنعة : ماذا تعنى ؟

مجاهد الشماخ : اعنى ان المعلم العاشر يشن حملة شعواء على حضارة العرب لانه سيىء النية • وهو يقصد ان يزرى بها لحساب الاوروبيين الملاعين الذين دربوه لهذا العمل حتى نفقد الثقة فى انفسنا ونوطىء لهم فى بلادنا •

المعلم العاشر : ما هذا ؟ هل نحن فى محكمة تفتيش ؟ هذا الرجل يحاكم الناس بالنوايا • لم يبق الا ان يأتى بخنجر ويشق به قلبى بحجة انه يريد أن يفتش فيه • ومع ذلك فكلامى يدل على عكس ما يقول • كلامى يثبت ان العرب علموا أوربا موضة البوستيش والشنيون ومارى انطوانيت وعلموها استعمال أدوات الزينة وعلموها الاستحمام فى البلاجات ••• باختصار ، علموها كل ما تصدره الينا الآن من اسباب الحضارة فهذه بضاعتنا ردت الينا ، وهو نفس ما ينادى به مجاهد بن الشماخ وأبو الفتوح الصباح وبقال العروبة • علموها عن طريق بيزنطة والاندلس وما بينهما • علموها وتعلموا منها •

مجاهد بن الشماخ : انظروا ! ألم اقل لكم ان المعلم العاشر دسيسة ؟

كيف يقول أن العرب تعلموا من غيرهم ؟ العرب يعلمون ولا يتعلمون ، لانهم ولدوا علماء • هذه آراء المبشرين والمستشرقين والمستعمرين • وقد سبق ان صبى المبشرين

ادعى ان المعرى قرأ اليونان وهو افك عظيم ، فاليونان هم الذين قرأوا المعرى رغم انهم اقدم منه . لقد أثبت بما فيه الكفاية فى الجزء الاول من كتابى « أوهام وأراجيف » ان المعرى لم يعرف هوميروس أو ارسطوفانيس أو لوسيان . وسأثبت فى الجزء الثانى منه أن هوميروس وأرسطوفانيس ولوسيان هم الذين عرفوا المعرى .

المعلم العاشر : انت مضحك يا شماخ ، انت وأمثالك ، ان قلنا ان المعرى كان مثقفا يعرف اليونانيات غضبتم ، كأننا ننسب اليه عارا وشنارا . ومع ذلك فأنتم لا تفتأون تذكرون ان العربية هى التى اعطت اليونان لاوروبا فى عصر النهضة . فهل كان العرب مجرد وراقين مثل مكتبه الانجلو ومكتبة النهضة وعيسى البابى الحلبى يبيعون المخطوطات اليونانية للاوروبيين دون ان يعرفوا ما بداخلها؟ طبعا لا ... فقد كانوا أولا وقبل كل شيء مثقفين فى اليونانيات عارفين باليونانية . ومادمنا نتحدث عن أمور الحب فى العصر الذهبى ، فأنا اقرر هنا أمام جميع الحاضرين ان أمرأ القيس كان يعرف اليونانية ... فنحن نقرأ فى « الاغانى » ان امرأ القيس طلب الى السموأل ان يكتب الى الحارث الغسانى أن يقدمه الى قيصر ، فلما انتهى امرؤ القيس الى قيصر اقام فى بلاطه مكرما وعينه قائدا

على جيش من جيوشه وكانت له عنده منزلة حتى افسد ما بينهما عدو له يدعى الطماح • قال الطماح لقيصر : « ان امرأ القيس ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل فى ذلك اشعارا يشهرها بها فى العرب « فيفضحها ويفضحك » وحتى لو افترضنا ان أمرأ القيس كان يباهى بذلك من باب الفشر ، فهل يعقل ان يقيم عاما كاملا فى بلاط امبراطور بيزنطة دون ان يتعلم اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان حمارا كبيرا • وحتى لو افترضنا انه كان يستخدم ترجمانا اثناء اقامته فى بلاط ملك الروم يترجم بينه وبين قيصر ، فهل يعقل أن قيصر كان يأتمنه على قيادة جيش من جيوشه اذا كان لا يتقن اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان قيصر حمارا أكبر لانه عين فى جيشه جنرالا لا يستطيع قراءة أوامره وفرماناته ومراسيمه ، بل ولا يستطيع ان يتفاهم مع الصف الثانى والثالث من العمداء والعقداء والنقباء أو يجلس معهم فى مجلس حرب دون مترجمين • وحتى لو افترضنا ان قيصر كان حمارا كبيرا وأن أمرأ القيس كان حمارا صغيرا فكيف كان امرؤ القيس يطارح ابنة قيصر الغرام وهما معا فى بيزنطة ؟ فى الفراش طبعا لغة الاشارة تكفى ، ولكن هل يعقل انهما لم يخرجا قط من الفراش أو انهما لم يلتقيا أبدا الا فى الفراش ؟ وبأية لغة كان يراسلها وتراسله ؟ بالعربية التى لا تعرفها أو باليونانية

التى لا يعرفها ؟ بئس هـذا الغرام الـذى يحتـاج دائما الى وسـيط • ثم اننـا نعرف انـه مـات ودفن فى قلب بـلاد الروم • وهـذا يـدل على انـه تردد على بيزنطـة اكثر من مرة ، مات بالحلـة المسمومة التى خلعها عليه قيصر حـين غضب عليه ••• مات ميتة اسطورية تشبه ميتة كريـوزا حين خلعت عليها ضرتهـا ميديا الثوب المسموم فى حكـاية ياسون المشهورة • ان اى حمار فى ظروف امرىء القيس كان لابـد ان يتعلم اليونانية قراءة وكتابة • بـل الارجح انـه تعلمها اصـلا وهو صغير لانـه من أبناء المـلوك وتربيـة الامراء لم تخـل من تعلم اللغـات الاجنبية ومن استعمـال السـلاح آلا فى أنـدر الاحوال • انا اقول لكم انكم تقتلـون تاريخ العربوأدب العرب لانكم لا تفهمون مـا تقرأون بـل ترددون كل ما جـاء فى الورق الاصفر كالببغاوات ، وكأنـه تعاويـذ مختومة لا يجوز لاحـد فض اختامها خشـية ان يضيع سحرها • ان اشـد الناس خطرا على تراث القـدماء هم سـدنة تراث القدماء ، لانهم الهـوا السلف فحنطـوا حضارة السلف وفضلوا المـاضى على الحاضر وقطعوا جذورنـا وجعلونا كأطفال يتـامى يبكون حول تابوت بـديع وهـم لا يعلمون ان ابـاهم لا يرقـد فيـه رقـدة الموت، ولكن ينـام فى غفـوة من سبات عميق •

صـانع الاقنعـة : انهض ، انهض يا أوزيريس انـا

ولـدك حوريس • جئت اعيـد اليـك الحياة • لم يـزل لـك قلبك الحقيقى • قلبك الباقى • كفى • كفى • لقد أثرت فينا الاشجان وانسيتنا الابتسام • ارجو يـا سادة ان تتذكروا فى المـرة القادمة أن من يضحك كثيرا يحتفظ بشبابه طويلا • فاضحكوا واضحكوا وان لم تجـدوا مـا تضحكون منـــه فاضحكوا من انفسكم ! والى ان نلتقى مرة اخـرى • رفعت الجلســة •

× المحاورة الرابعة ×

فردوس القطط والكلاب

بعـد أن افتتح الرئيس ، صانع الاقنعة ، الجلسة لادارة المحاورة الرابعة ، تنحنح قليـلا وقال انـه قـد جـاءه طلب باقفـال المناقشة فى هـذا الموضوع التافه المستهلك ، موضوع المرأة ، واقتراح باجراء التصويت فورا من بازرعة بن شخبوط وهو من اقصى اليمين ، والملوك الشارد وهو من اقصى اليسار (واليمين واليسار هنـــا أوصاف جغرافية لا سياسية) .
وهنـا حـدث هرج شـديد لان خولة المـايسطرية والماركسية المسخسخة ساءهما ان يقال ان موضوع المرأة موضوع تافه .
وصاح الشاب الظريف ابـو سنة دهب لولى يطالب بفتـح باب المرأة الى الابـد وايـده فى ذلك خليع القبيلـــة بجلبة شديدة لفتت نظر الحاضرين ، وكانت حجتهما فى ذلك انهمـا اختصاصيان فى المرأة عمليـا وانهما يحبان ان يستكمـــلا معارفهما النظرية عنها . وكان تاجر البهارات يراقب كل هـذا

ويبتسم فى خبث واعطى الشاب الظريف شيئا من لبسان الدكـر واعطى خليع القبيلة جـوزة من جـوز الطيب غـزاد تهيجهما واخذا يهتفان « تحيـا المـراة الذهبية ! » « الينـا بالمراة الذهبية ! » وهنـا تـدخل السندباد الجديد ملطفـا هـذا البهرج بقوله :.

ـ المعلم العاشر والمجاهـد والشماخ وأبو الفتوح الصباح اكتفيـا بـدراسة احوال المرأة من خـلال صورتها فى الادب والحقيقة إن الادب لا يعطينا الا بروفيل المرأة • وأنـا اقترح ان يرسم لنـا أحـد صورتها فى عـلم الاجتماع • انـا لا اقول ان العلم فضلوه عن الادب ، ولكن المنهج العلمى ادعى لـدقة المعرفة ووضوح التفكير •

الايـدلوجى الفهلوى : انـا مستعد لرسم صورة المرأة فى عـلم الاجتماع • أنـا درست •••

المعلم العاشر : أنـا اعترض • ليس بيننـا واحـد مؤهل فى هـذا العلم •

صانع الاقنعة : هـل نـدعو استاذا من الجامعة ؟

المعلم العاشر : لا • أنـا اعرف كل اساتذة الاجتمـاع الدكتور ازوز لا يعـرف شيئا خـارج دوركهايم ، والديـك الجبار لا يعرف شيئا خارج ابن خلـدون والدرفيل الوديـع سيثرثر ثرثرة لطيفة عن أستاذه ايفانز بريتشارد • اقتـرح ان نـدعو بعض الخبراء الاجانب : جيمس فريزر ومالينـو

فسكى وايفانز بريتشارد وراد كليف براون وهـانز ليخت أيضـا اذا أمكن ولوينسون •

صانع الاقنعـة : ما كل هـذا • واحـد يكفى •

المعلم العاشر : مالينوفسكى اذان • هـاهو ذا بالبـاب أو على الاصح شبحه مـا أن فكرنا فيه حتى حضر بسرعـة ضـوء الفكر •

صانع الاقنعـة : ادخـل يا مالينوفسكى •

مجاهـد بن الشماخ : أنـا اعترض على دعوة هـذا الافاق الدولى عـدو العرب • انـه أوروبى نجس •

صانع الاقنعة : اسكت يا شماخ • مهنتك •

مالينوفسكى : عـالم اثنولوجيا •

ابو الفتوح الصباح : وما هـذه الاثنولوجيا من فضلك؟

مالينوفسكى : علم دراسة خصائص الشعوب •

أبو الفتوح الصباح : سبحان اللـه • أنـا لم اسمع ابـدا بهـذا العلم •

مالينوفسكى : كانوا فى القرن التاسع عشر منـذ داروين يـدرسون شيئا اسمه الانثروبولوجيا أى علم الانسان أو الجغرافيا الجنسية كما تسمونها فى بلادكم ، وكانـوا يـدرسون الاجناس البشرية دراسة غريبة بقيـاس جماجم الناس وانوفهم وأطوال عظامهم وانواع شعرهم وتصـنيف فصائل دمهم ، كل ذلك لتحـديد الفوارق والجوامع بـين

الاجناس المختلفة لمعرفة مـا اذا كانت الاجناس من اصـل واحـد • ثـم خطرت للبعض فكرة طريفة وهى ان يدرسـوا عـادات الشعوب وخصائصهم الاجتماعية بـدلا من التركيـز على خصائصها السلالية • وسموا هذا انتروبولوجيا اجتماعية والحق انى لا اعرف بالضبط الفرق بين هـذه الانتروبولوجيا الاجتماعية ومـا نسميه اليوم الاثنولوجيا • كلهـا اسـماء مضحكة • المهم ان علماء الانثروبولوجيا الطبيعية بالغـوا فى أحكامهم على سلالات الشعوب لمجـرد استعمالهم المساطر والبراجل وأخـذوا يصدرون الاحكام على البشر • وكان طريفا ان نرى دعاة النازيـة فى البـلاد الاخرى يؤمنون بهـذه النظرية رغم انهـا تثبت تخلفهم الفطرى • مثلا فى مصر ، فى الاربعينات صفق بعض الناس للنازية رغم أنها تضع المصريين فى المرتبة العاشرة والعرب فى المرتبة العشرين من درجات التخلف الفطرى الـذى لا يجـدى معه تعليم • ولـما رأينـا استفحال خطـر هـذه المـدرسة رأينـا من واجبنا ، نحن دعـاة الانثروبولوجيا الاجتماعية ، أو الاثنولوجيا ، ان نهاجمها بقسوة ، لا سـيما واننـا من انصار الديمقراطية ومن دعـاة المساواة بين البشر فاثبتنا ان كل حديث عن السلالة خرافة في خرافة لانه ليست هنـاك سلالات صافية وكل شعوب الارض بزرميط بسبب الحروب والهجرات المتواصلة ، واعلنا أن علم الإنسان لا يكون علما الا اذا كف عن قيـاس اللحم والـدم والعظم ووقف عنـد

دراسة عادات البشر ونظمهم الاجتماعية : مثلاً نظـام الأسرة نظـام التوريث • نظام الحكم • نظام السحر • طقـــوس العبادات • نظام البغـاء • طقوس الافراح والموالـد ة وكل مـا يدخل فى باب « الثقافة » و « الحضارة » و « المعتقدات » والعادات الاجتماعية • برونسلاف مالينوفسكى • فى خدمتكم • أنـا مثلا مسحت ميلانبزياوبولنيزيا ، وايفـانز بريتشـارد مســح السودان وفسترمارك مسح شمال افريقيا واستاذنا تيلور مسح الهنود الحمر وصديقتى الســـيدة سيليجمان مسحت شعوب افريقيا •

مجاهـد بن الشماخ : الـم اقـل لكم ؟ ان عنـدنا من هـو افضل من هـذا المبشر الافاق • رحـم الله ابن بطـوطة والقزوينى وابن خلـدون •

مالينوفسكى : ابن بطوطة والقزوينى وابن خلـدون ؟ رجال عظام • سمعنا عنهم وقرأناهم من الجلـدذ للجلـدة فى سـنة أولى جامعة •

صانع الاقنعـة : ادخـل فى الموضوع يـا مالينوفسكى • السؤال هـو: ما قول العلم فى نساء العصر الذهبى ؟ هــل كان نظـام الاسرة مثلا فى العصر الذهبى ارقى منه فى عصرنـا ؟ وأحوال المراة وأوضاعها هل كانت فى المجتمع الـذهبى أرقى منهـا فى مجتمعنا ؟ نحن رأينـا صورة المـراة فى مرآة الادب فوجدنا ان الحـال من بعضه ، وبقى ان نرى صـــورتها فى

مرآة العلم • لن نتضايق اذا القيت علينـا محاضرة بشرط أن تكون طريفة فنحن فى الاصل أدبـاء كما تعـلم •

مالينوفسكى : « انـا بوصفى واحـدا من صـفوة الصفوة فى الاثنولوجيا اقرر انى كلما التقيت بمسز سيليجمان او الدكتور لووى وكلما ناقشت راد كليف براون او كروبر ، أحس لفورى ان زميلى لا يفهم شيئا فى الموضوع ثـم احس عـادة فى النهاية أن هـذا ينطبق على أيضا • وهـذا ينصب على كل ما كتبناه فى موضوع القـرابة ، وهـذا الاحسـاس متبادل تماما » •

صانع الاقنعة : أهـذا من تواضع العلماء أم هى نكتة ؟

مالينوفسكى : مطلقا • هـذه حقيقة • وعلى كل حال مادمتم تطلبون رايى فسأكتفى بعرض الحقائق واستخلصوا انتم ما تشاءون •

أين أبـدا ؟ فى العصر الذهبى • طبعـا انتم لاتقصدون حواء فى الجنـة قبل سقوط الانسان ، فهـذه المرحلة معروفـة للجميع • سأبدأ اذن من نقطة غير معروفة وهى بدايـة تاريخ حواء على الارض أو بنـاتها بتعبير أدق • فأول اثر وجـده علماء الآثـار للمرأة على الارض كانت بعض التماثيل الصغيرة بحجم الكف التى يرجع تاريخها الى نحو٢٠٫٠٠٠ سنة ، اى فى العصر الحجرى القديم ، تماثيل لنسـاء ولحيوانات • طبعـا المراة كانت موجودة على الارض قبل هـذا التـاريخ

بسنوات لا تحصى ، ولكنى اتكلم عن اى أثر مادى يدل على وجود نساء على الارض غير تسلسل الذرية ٠ اكتشفت هذه التماثيل فى أواخر القرن التاسع عشر فى كهوف براسمبوى بجوار مدينة بايون فى جنوب فرنسا فى منطقة جبال البرانس ثم اكتشفت مجموعة اخرى من التماثيل المشابهة فى كهوف جريمالدى بجوار مدينة منتون بين الريفيرا الفرنسية والريفييرا الايطالية ٠ وكانت هذه التماثيل تتميز كلها بطابع واحد وهو ضخامة الثديين وبروز البطن بدرجة ملفتة وبجسامة العجز لدرجة لا تطاق : ومن توآتر هذه الظاهرة ظن علماء الانثروبولوجيا أولا ان نساء العصر الحجرى كن جميعا مريضات بمرض تضخم العجز ٠ ولكن هناك احتمالا بأن يكون هذا مجرد اسلوب الانسان الاول الفنان فى التصوير اى مجرد التركيز على اعضاء المرأة التى تتصل بوظيفة الاخصاب والمبالغة فى ابرازها كما يفعل فنان اليوم فى الكاريكاتير ٠ فالفنان القديم لم يهتم بأن يبين فى تماثيله ملامح الوجه والقدمين ، ولم يعرف ان كانت هذه لربة الحب أو الاخصاب ام انها كانت تمثل نساء حقيقيات على كل حال فان العلماء اطلقوا على هذه التماثيل اسم « فينوس جريمالدى » تشبها بقولهم « فينوس ميلو » ٠

صبحى النقاش : هذا يثبت ان فن النحت فن قديم جدا

مالينوفسكى : لا شك ٠ لا شك ، ٢٠٫٠٠٠ سنة

على الاقل ، أى ما قبل التاريخ • وفى ١٩٠٨ اكتشف عامل كان يشتغل بمد السكة الحديد فى قرية ويلندورف فى النمسا على شط الدانوب رسما أحمر طوله ١١ سنتيمترا على حجر ، وهو من نفس الفترة اى يرجع الى ٢٠٠٠٠ سنة ، وقد حفر فى الحجر بآلة حادة أو ازميل ، ويقال انه اقدم نموذج معروف من فن التصوير وهو من حيث التكوين مشابه تماما لنساء فرنسا وايطاليا منذ ٢٠٠٠٠ سنة على الاقل فى خيال الفنان : نفس الاثداء الجسيمة والبطن الجسيمة والعجز الجسيم ، صورة مقززة طبعا بالنسبة لاذواقنا • ولكن الغريب ان هذه الكتلة من الشحم كانت تلبس سوارا على كل ذراع من ذراعيها وشيئا يشبه الحلية على الراس يظن انه كبود • تصوروا ! حتى فى العصر الحجرى القديم تفكر المراة فى زينتها قبل ان تستر جسدها ! وغير معروف أيضا ان كانت « فينوس ويلندورف » او حواء النمسا تمثل صورة كاريكاتورية ام امراة حقيقية • كذلك عثر علماء الآثار فى استوريتز على صورة محفورة فى الحجر من نفس الفترة تمثل منظرا غراميا: رجل عار ينظر فى ضراعة الى امراة عارية وقد رفع يديه وكانه يتوسل ، وعلى فخذ المراة رسم الفنان سهما رمزا لرغبة الرجل ، والوضع كله محترم ويوحى بأن الفنان الاول لم يكن متبذلا كبعض فنانى اليوم ، ويثبت أن انسان

العصر الحجرى القديم كان لا يخلو من الرومانتيكية ٠ وقد تصور فريزر وريناخ كعادتهما فى كل هذه التماثيل والنقوش انها لربات الحب والاخصاب ، او بقايا لديانة تقوم على عبادة المرأة اختلط فيها السحر بالدين ٠ أما الحقيقة فلا يعلمها الأ الله ٠ ولا يقل اهمية عن ذلك تلك الصورة التى وجدها علماء الآثار بكهف فى فالنسيا بأسبانيا عمرها ١٦٫٠٠٠ سنة ، اى من العصر الحجرى الوسيط ، والصورة تصور امرأة تعمل ، فهى واقفة على سلم صنع من حبال مجدولة ، تجمع الشهد من خلايا النحل لتضعه فى سلتها ولكن جسم هذه المرأة نحيل جدا وهو من الطراز الافريقى ٠

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : هذه معلومات ممتازة اذن فلدينا دليل يقينى على ان المرأة كانت تعمل كالرجل تماما ، على الاقل منذ ١٦٫٠٠٠ سنة ٠ وهذا وحده كاف لاخراس كل المعترضين على خروج المرأة لميدان العمل ٠ أنا دافعت عن حق العمل للمرأة فى احد مؤلفاتى على الاساس البيولوجى لا على الاساس الانثروبولوجى ٠ حولت رجلا الى امرأة وامرأة الى رجل لاثبت حق المرأة فى العمل فظن الاغبياء انى ادعو لحق الرجل فى الحمل وانا اقطع بأنها كانت دسيسة رجعية ٠

ابو الفتوح الصباح : مهلا ، مهلا ، لو فكرت جيدا فى الصورة لوجدت أن المرأة لم تكن تعمل طبيبة أو محامية

أو مهندسة او موظفة ولكن كانت تعمل فى جمع الشهـــد ، اى تعمـل فى التدبير المنزلى وهـذه بالضبط هى الوظيفـة الطبيعية للمرأة كما قلنـا ، ولن تجمع المرأة الشهد ؟ طبعـا لزوجها واطفالها • وهـذا بالضبط ماندعواليـه : ان تجمع المراة الشهد لزوجها واطفالها • وان تعمل وتعمل وتعمل ولكن فى التـدبير المنزلى فقط • برافو يا خواجه مالينوفسكى ، لاشك ان العصر الحجرى الوسيط كان عصرا ذهبيـا وانتـم تسمونه بالخطـأ عصرا حجريا •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : مهـلا • يـا ابـا الفتوح ياصـباح • أنـا موافق على ان تعمل المراة فى التـدبير المنزلى فقط ، ولكن على مستوى الدولة كلهـا •واذا كانت المراة منـذ ١٦٫٠٠٠ سنة تجمع الشهد بيـــديها فى سلتهـا لاسرتها بوسائل الانتاج البدائية هـذه فقـد تقدمت وسائل الانتاج بعـد ١٦٫٠٠٠ سنة واصبح فى امكانها اليوم ان تـدير مصنعا لانتاج العسل الطبيعى والصناعى وكافـة انواع المربات وتعليبها بالوسائل الآليـة فى البرطمانات او الصفيح للاسرة الكبيرة وهى اسرة المجتمع كلـــه بـدلا من حجزهـا فى بيت سيادتك لتصنع لك وحـدك مربة الخـوخ والمشمش ولـكى تتمكن المـراة من ذلك يجب ان تدخل كلية الزراعة • وقياسا على هذا يمكنهـا تربية العجول والاغنام وانتـاج السمن والزبـد والجبن للامـةكلهـا بـدلا من تربية

ديك ودجاجتين فقط على سطح سيادتك · أيها التقدميون !
اهتفوا معى : فلتحيا الاثنولوجيا ! فلتحيا الانثروبولوجيا الاجتماعية !

مالينوفسكى : أنا سعيد بهذه المقاطعات أيها السادة وارجوكم ان تقاطعونى كلما استطعتم ، فهذا أولا يريحنى من الكلام المتواصل فى شيخوختى ، وهو ثانيا يتيح لى البقاء فى بلادكم الجميلة هذه اطول مدة ممكنة ، وهو ثالثا يعطينى فرصة ذهبية لدراسة مجتمعكم البديع اثنولوجيا فأنا ارى أمامى نماذج بشرية ممتازة وغرائب فى التفكير والسلوك تستحق الدراسة والتسجيل · مثلا كل هذا الانفعال الجميل بسبب ان المرأة تعمل أو لا تعمل ، نحن نسينا هذا الانفعال فى أوربا منذ مائتى سنة بالضبط ، اى منذ الانقلاب الصناعى · واذا كان يهمكم ان تعرفوا تاريخ العمل بالنسبة للمرأة ، فالمرأة العاملة بالمعنى التام بدأت منذ انتهاء عصر الصيد وابتداء عصر الزراعة ، اى منذ نحو ٧٠٠٠ سنة ، أما عصر الرعى فلا داعى للكلام عن العمل فيه سواء بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمرأة لان الرعاة قد يحسنون المشى أو ركوب الخيل والابل أو الغزو والسطو ولكنهم لا يعملون بتاتا وكانت أول الاعمال التى قامت بها المرأة رسميا منذ ٧٠٠٠ سنة هى البذر والحصاد وصناعة المنسوجات · وأعتقد ان المرأة لا تزال اليوم تزاول فى ريفكم كل هذه الاعمال ·

علي الزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : وبنـــاء عليـــه يجب ان نطالب للمرأة بادارة اراضي الاصلاح الزراعي وبادارة مصانع النسيج في المحلة الكبرىوكفر الدوار وشبرا الخيمة • بهـذا نمارس المرأة نفس الاختصاصات التي كانت تمارسها منـذ ٧٠٠٠ سنة •

مالينوفسكي : هـذا شأنكم وأنـا لا ادخل فيـه والا تلتم عني انى عميل ، نحن نشكو اليوم من ان نســــاءنا يحكموننا • انا مثلا كنت اسلم كل مرتبي لمسز مالينوفسكي ولا استطيع أن اتأخر في النادى أو البار بعد الساعة العاشرة وهو موعـد اغلاق البارات في انجلترا ، وعنـدما أريـد أن اسمع باخ وموزار تفرض هي على ســـماع تشايكوفسكي وشوبان لانهـا رومانتيكية فأحس بحـاجة الى القيء ••• حتى الوان بـدلي وكرافتاتي تختارها لي • ولكن صدقوني ، ان الحالة كانت اسوأ بكثير في مجتمع العصر الذهبي ، اليس هـذا ما تقصدون ؟ اى عصر قـديم هـو العصر الذهبي ؟ كانت الحالة اسوأ بكثير في مجتمع ما قبل التاريخ أو عـلى الاصح قبل اكتشاف الزراعة • فقـد كان النســاء يحكمون الرجال حكما رسميا لا مجرد حكم مجازى ، واقمن في قبائل كثيرة نظـاما سياسيا واجتماعيا يسمى « الجيناوقراطية » اى « حكومة النساء » وهو مثل قولنـا « ارستقراطية » لحكم الاشراف « ديموقراطية » لحكم الشعب • وقـد اكتشف

علماء القرن التاسع عشر أن سبب قيام هذا النوع من الحكم هو نظام الزواج على المشاع فى مجتمعات انسان ما قبل التاريخ وفى مجتمعات الفطرة وقد بقيت بعض آثار هذا النظام فى بعض مجتمعات الانسان التاريخى • وفكرة الزواج على المشاع طبعا فكرة تصدم الشعور ، ولكن اذكروا أنه لاشعور فى العلم ، ثم ان بعض الفلاسفة المثاليين المحترفين من امثال أفلاطون دعوا لها • وافلاطون فى « الجمهورية » أوصى بتطبيق الزواج على المشاع بين طبقتين فى المجتمع : الطبقة الحاكمة وطبقة الجنود ليكون النسل أبناء الدولة بالمعنى الحرفى لا بالمعنى الجازى ، واوصى بنظام الاسرة فقط للطبقة الثالثة وهى الطبقة الوسطى أو الطبقة البورجوازية من أرباب المهن والحرف • على كل حال نظام الزواج على المشاع ترتب عليه طبعا ان الاب كان غير معروف وان ولاية الام على الابناء كانت تامة ، وهذا اكسب المراة مكانا ممتازا فى المجتمع وبهذا انفردت بالسلطة السياسية والسلطة المدنية اذا اردتم ان تسموا هذا المجتمع « مجتمع القطيع » فلا بأس من هذه التسمية ، كذلك كان للنساء سطوة عظيمة فى إقتصاديات المجتمع عن طريق التدبير المنزلى وغير المنزلى •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : انا اتلمظ •

أبو الفتوح الصباح يصر على تسمية هذا المجتمع بالمجتمع

الـذهبى . هـو يمجـد الفطرة اعطه مزيـدا من الفطرة يـا خواجة مالينوفسكى .

ابـو الفتوح الصباح : اعـوذ باللـه ، اعـوذ باللـه .

مالينوفسكى : كانت حكومة النساء تستند الى مبـدأ شرعى اسمه « الحق الاموى » باللاتينية « يوس ماترنوم » وكان أول من لفت النظر الى وجود هـذا النظام الاموى مبشر جزويتى اسمه لافيتو ، كان فى أوائل القرن التاسـع عشر يـدرس قبائل الهنود الحمر فى امريكا الشمالية ووجـد هـذا النظام ممارسا بين الهنود الحمر .

مجاهد بن الشماخ : الم أقـل لكـم ؟ المبشرون دائما وراء هـذه الافكار الحقيرة المفسدة .

مالينوفسكى : لا تغضب يا سيدى . انت على حق الى حـد مـا ... هكذا بدا الامـر فى أول الامر ، لانه لم يتجول فى المجتمعات البدائية غير المغامرين والمبشرين . منابع النيل مثلا اكتشفها المبشرون وبعض المغامرين المجانـين ، وربمـا بعض الجواسيس المثقفين ،فهـل معنى هـذا ان منابع النيل غير موجودة ؟ لمـاذا لا تتشبهون بنـا ؟ أنتم ترسلون بعثات تبشيرية لنشر الاسلام فى افريقيا الاستوائية وترسلون بعض الملحقين والمـدرسين ورجال العلاقات العامة ولو ان كل واحد من هـؤلاء درس عادات القبائل الزنجية التى يتصـل بهـا ولهجاتهـا ونظمهـا وديانتها وكتب عنهـا تقـارير لوزارتى

الخارجية المصرية والتعليم بدلا من كتابة التقارير والشكاوى فى زملائه ، لاستفاد علم الانثروبولوجيا الاجتماعية فائدة عظيمة • وعلى كل حال فالاوربيون كانوا منذ ١٥٠ سنة مثلكم تماما ، فحين اعلن الاب لافيتو نظريته عن المجتمع الاموى (نسبة الى الام لا الى امية) صدمت آراؤه ابناء عصره ولم يقتنع بها الا الاقلون • حتى نشر باخوفن الالمانى كتابه المعروف « الحق الاموى » فى ١٨٦١ فأحدث كتابه زلزلة كبيرة فى اوروبا كلها واعتبرت آراؤه اكتشافات اجتماعية خطيرة • كانت نقطة الابتداء عند باخوفن ماروا‌ه هيرودوت من أن أهل ليسيا كانوا يسمون ابناءهم باسم أسرة الأم ، نأخذ يجمع الشواهد من التاريخ ومن المجتمعات البدائية ومن آداب القدماء ، وتوصل الى وجود مجتمعات عديدة تحكمها المرأة ونظام الارث فيها يتبع الخط الاموى • وحتى فى بلادكم الجميلة اشتبه بعض العلماء فى ان اسماء القبائل المؤنثة مثل ثعلبه ومرة وقضاعة وامية ليست الا بقايا مجتمعات أموية قديمة جدا فى شبه جزيرة العرب كانت فيها حكومات نساء وبقيت الاسماء بعد انتقال هذه القبائل الى مرحلة المجتمعات الابوية • ولم يكن باخوفن هذا رجلا تقدميا يطالب بتحرير المرأة واشراكها فى مسئوليات الحكم بالحق وبالباطل بل كان على العكس من ذلك رجلا محافظا ينظر بامتعاض الى سيادة المرأة ويعتقد انها مرحلة تخلف

وانحطاط وبدائية • فالطبيعة حقيقة جعلت المرأة هى آلحاكم الطبيعى فى الاسرة والمجتمع ••• وسيادة الرجل المتأخرة تقوم على الاغتصاب فى التنظيم الاجتماعى ، ولكنه اغتصاب كان فى مصلحة الانسانية وتقدمها • فعند باخوفن ان المراة مساوية للفطرة والجسد بينما الرجل مساو للمدنية والعقل وسيطرة العقل والمدنية طبعا ارقى من سيطرة الجسد والفطرة • هذا على كل حال راى باخوفن وحكمه وليس رأيى وحكمى فأنا ليست لى آراء واحكام • انا فقط اسجل واجمع وادرس ولكنى لا اصدر احكاما • وطبعا هلل الذكور منذ مائه سنة لنظريات باخوفن لانها نادت بامتياز الرجل على المراة ، ولكن الذكور فى أوروبا كانوا اغبياء لانهم لم يفهموا ان كلام باخوفن رغم ارضائه لغرورهم كان اول معول حقيقى قوض سلطان الرجل فى العالم لانه زعزع ايمان الناس بسيادة الرجل سيادة ازلية ابدية وعرف الناس ان الرجل لم يكن دائما حاكما فى الاسرة وفى المجتمع • والحاكم الطارىء يمكن ان ينزع منه الصولجان ، فهو قابل للعزل او التنازل •

ولم يلبث الاثنولوجى الامريكى مورجان ان دعم نظريات باخوفن فتتبع تحول مجتمع قبيلة من الهنود الحر هم الايروكوا من نظام الحق الاموى الى نظام الحق الابوى فى زمنه وكتب عنها ودرس شيوعية الزواج فى مجتمعات

القطيع وظهور بـدايات التنظيم الاجتماعى فى مجتمع الصيد حيث قسمت كل قبيلة الى مجموعات ، كل مجموعة رجالهـنـا حرم عليهم ان يتزوجوا من نسائها ولكن أبيح لهم ان يتزوجوا من نساء المجموعات الاخرى ، مع بقـاء الزواج جماعيـــا لا فرديا ، وهو مـا ابقى المجتمع تحكمه المراة فى كل مـا يتصل بعلاقات الاسرة وبالتوريث نظراً لعـدم تحديد الآباء • ولكن مـا ان تطورت وسائل الانتاج بحيث امكن للفرد ان يستغنى عن الجماعة حتى ظهر التخصص فى الزواج ، اى ظهرت الاسرة بالمعنى الحديث كنتيجة مباشرة لظهور المـلكية الفرديـــة • وانتقلت السيادة للرجل باعتبار أنه الاقوى والانشط فامتلك الرجلْ المراة وفرض عليها التخصص لـه بينما احتفظ لنفســه بحقْ التعـدد الى مـدى ملكيته لضمان انتقال الارث الى اولاده هـو لا الى اولاد الرجال الآخرين • وهكـذا انتقـل المجتمع من النظام الاموى الى النظام الابوى بظهور المـلكية الخاصة ومعـه ظهر نظام الرق الـذى لم يكن معروفاً فى الشيوعيـــة الاولى ، ظهر نظام الرق لمـا للرقيق من قيمة اقتصادية فى فلاحـة الارض والزراعة بوجه عـام • وبهـذا كان اكتشاف الزراعة هـو الخـط الفاصل بين مرحلتين فى تاريخ البشرية مرحلة الشيوعية البدائية ومرحلة المـلكية الفردية وهكـذا كانت مرحلـة الملكية الفردية بدايـة ظهور نظامين من اهـم النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية : نظام الرق ونظام

الاسرة حيث الرجل لا المراة هو راس الاسرة وراس القبيلة وراس الدولة وراس كل تنظيم اجتماعى • وتوالت الدراسات لتؤيد جوهر هذه النظرية بين الهنود الحمر والاسكيمو وزنوج افريقيا واليونان والرومان ومصر القديمة وسكان ميلانيزيا وبولوينيزيا ••• الخ • أراكم تتثاءبون يا سادة متأسف انى لست مسليا بالشكل الكافى •

القط الأسود الأليف : لا • لا • هذا الكلام مثير • انا شخصيا متحمس • انا رايت بعض مظاهر الزواج الشيوعى بين الشلوك والدنكا عندما زرت الملكال فى العام الماضى • وأنا شخصيا غير مهتم بالتنظيم الاجتماعى ، ولكنى مهتم بالتكوين النفسى لفطرة الانسان • الحب والغيرة •• كل فنان يجب أن يهتم بالحب والغيرة • ورأيى ان انسان الغابة ارقى من انسان الفيللا ••• انا بورجوازى ولكنى متحمس لهذا الكلام •

مالينوفسكى : على العموم انت لست وحدك المتحمس قبلك فى القرن التاسع عشر التقط آباء الشيوعية كارل ماركس وانجلز وببيل كلام مورجان ورفعوه راية لتحرير المراة • انجلز وببيل بالذات اقاموا المظاهرات ـ فى الكتب طبعا ـ لاراء مورجان وفصلوا منها ثوبا غريبا على قامة نظريتهم الشيوعية : مادام نظام الاسرة وسيادة الرجل قد ظهرا

ـ كنظام الرق ـ بظهور الملكية الفردية فباختفاء الملكية الفردية سيختفى نظام الاسرة وستختفى سيادة الرجل وسيختفى نظام الرق • فى البدء كانت شيوعية الفطرة وفى النهاية ستكون شيوعية المدنية • الملكية العامة لوسائل الانتاج ••• الآلى والحيوانى والنباتى ••• الفكرة رومانتيكية غريبة وتشبه البيوت التى يبنيها الاطفال بالمكعبات •

ابو الفتوح الصباح : الفكرة حيوانية حقيرة •

ابن سيركوف : الفكرة صحيحة نظريا ولكنها سابقة لاوانها عمليا •

ابن ماركوف : الفرق بين زراعة أبناء الاسرة وزراعة أبناء الدولة هو الفرق بين الكولخوز والسوفخوز • وبالتقدم من الاشتراكية الى الشيوعية ستتقدم من الكولخوز الى السوفخوز • الفكرة صحيحة نظريا كما قال ابن سيركوف ولكنها سابقة لاوانها •

أبو الفتوح الصباح : يا صانع الاقنعة هل أنت نائم ؟ أرحنا من هذه الحقارات والتهجم على المقدسات والا خلعت هذا الحذاء ، اطرد هذا الخواجه وكل هؤلاء الضبية •

مالينوفسكى : ولماذا تطردنى ؟ انا من رأيك ولكن لغير الاسباب التى تبديها • نحن فى أوربا نرد على العلم

بالعلم ونرد على المقدسات بالمقدسات . كنا مثلكم واغضع
منكم ، نغضب اذا لم يعجبنا كلام الغير ونعقد محاكم
التفتيش ونحرق خصومنا فى الرأى على الخازوق . ولكننا
اكتشفنا ان الاضطهاد ، للافكار كالزيت للنار يزيدها
اشتعالا كما حدث فى تاريخ الايان والمذاهب الكبرى
وتعلمنا الدرس فعالجنا هذه المسائل بالمؤتمرات والندوات
... بالحوار . بالحوار فى الكتب وفى الصحف وفى القاعات
وفى الاذاعة والتليفزيون وهم بفعلون مثلنا فى امريكا ، وقد
بلغنى انهم اخذوا بهذا المبدأ أيضا فى الاتحاد السوفييتى
بعد موت ستالين . المسألة بسيطة . نحن اكتشفنا ان
القردة العليا متخصصة فى الزواج وان هذا من أسباب
تقدمها على القردة السفلى كالنسانيس مثلا . اكتشفنا
ان التخصص فى الزواج او ما نسميه نظام الاسرة ليس
اختراعا بورجوازيا كما يقول بعض الشيوعيين ولكنه
اختراع انسانى عظيم لا يقل مثلا عن توليد النار أو
اختراع العجلة أو تفتيت الذرة ، وهو السبب الاول أو من
الاسباب الاولى فى الانتقال من ما قبل التاريخ الى التاريخ
لان تحويل القطيع لوحدات صغيرة اسمها أسر كان معناه
تعيين معلم أو معلمة بالمجان فى كل بيت ، ملايين المعلمين
دون ان يدفع المجتمع قرشا واحدا من مرتباتهم ، معلم
ومعلمة على كل عشرة أطفال . باختصار ضاعفنا عدد

المعلمين فى المجتمع ، لان الطفل فى زواج القطيع لا تربيه غير امه ، وهى عادة مشغولة بأعمال الاسرة المباشرة • أما فى مجتمع الاسرة فالاب يساعد الام فى تربية الطفل • وبعد فترة الحضانة يصبح المعلم الاب انفع للطفل من الام المعامة لان الأم تعلمه كيف يستهلك اما الاب فيعلمه كيف ينتج • المسألة ليست ان امتياز الرجل على المرأة هو الذى خلق الحضارة كما كان يقول باخوفن • المسألة أن مجتمع الاسرة ضاعف عدد اعضاء هيئة التدريس فيه فنشأت الحضارة وقد ثبت بالتجربة أن الوالدين بوجه عام اخلص فى تعليم الابناء من الغرباء لانهم أولا يرون انفسهم من ابنائهم ولانهم ثانيا متفرغون لهم • وكل هذا بالمجان • تصوروا • وانتم فى مصر شعب حكيم ، فقد بلغنى ان عندكم مثلا يقول فى وصف خيبة الامل : « يابانى فى غير ملكك يا مربى فى غير ولدك » • واذا كان عقوق الابناء مشهورا فما بالكم بعقوق أبناء الغير ! باختصار : نظام الاسرة كان ثورة تربوية وتعليمية • وهذه الثورة ساعدت على نقل الانسان من الهمجية الى المدنية • صحيح ان ظهور نظام الاسرة ترتب على ظهور نظام الملكية الخاصة ولكن العودة لنظام الملكية العامة لا يستلزم بالضرورة العودة لنظام الزواج الجماعى هذه تكون غباوة لان معناها التنازل ..اختياركم عن نحو ثلاثة ملايين مدرس خصوصى متفرغ مجانى • وفى

الهوجة الشيوعية الاولى ظن الروس حتمية الزواج الجماعى مع حتمية الملكية الجماعية لمجرد انهم قرأوا هذا الكلام فى انجلز وبيبل ثم تخلصوا فورا من هذه الحرفية الصبيانية وحافظوا على نظام الاسرة بعد أن عدلوا بعض قوانين الزواج البالية • وهذا ما فعلناه نحن أيضا عدلنا بعض قوانين الزواج البالية وحافظنا على نظـــام الاسرة •••

لا تخافوا يا سادة • أنا لست شيوعيا ولكنى اقول لكم انه ليست هناك علاقة حتمية بين الملكية الجماعية والزواج الجماعى والا كانت العودة الى الشيوعية الاولى معناها العودة الى الاسلحة الاولى أو الحياة على طريقة الهنود الحمر ويمكنكم ان تؤمموا كما تشاءون اذا وجدتم فى هذا نفعا لكم ، ولا تخافوا على نظام الاسرة • أنا شخصيا لا أوافق على نظام الملكية العامة ولكنى تتبعت بامتعاض شديد حملة التشهير بالاتحاد السوفييتى التى قامت بها صحافتنا الصفراء بين الحربين لتثبت أن الروس عادوا ــ جنسيا ــ بسبب الشيوعية الى فردوس القطط والكلاب • انهم مازالوا مثلنا اقرب الى القردة العليا •

صانع الاقنعة : هل انتهيت يا خواجه ؟

مالينوفسكى : أنا لم انته بعد ••• أنا تعبت •

صانع الاقنعة : انت ممل جدا ولكنك مفيد • سنعطيك اسبوعا كاملا للراحة ••• حتى يوم الجمعة القـــادم •

رفعت الجلسة •

× المحاورة الخامسة ×

بتاح / حتب وحمورابى وشركاهم

قال رئيس الجلسة ، صانع الاقنعة ، للخواجة مالينوفسكى : ـ تفضل يا خواجة • قل كل ما عندك فى جلسة واحدة • هذه ليست أكاديمية ولا قاعة محاضرات ، انمامجردحوار فكرى ••• ثم ان بعض الاعضاء مستاء من تجديد اقامتك ، ويطالب باعادتك فورا الى وطنك بأول طائرة •

مالينوفسكى : انا لا وطن لى • العالم كله وطنى • الستم تقولون فى بلادكم الجميلة : العلم لا وطن له ؟ أنا عالم : اذن لا وطن لى • انظروا الى اسمى : مالينوفسكى - أى روسى بولندى • ومع ذلك أقيم فى انجلترا وادرس فى جامعات انجلترا واطوف بجامعات العالم •

ابن ماركوف : أبيض أو احمر ؟

مالينوفسكى : لاابيض ولا احمر ، أنا من اللون الثالث

ابن ماركوف : وما هـذا اللـون الثالث ؟

مالينوفسكى : أنـا تكنوقراطى ، خبير من طبقة الفنيين كمـا تقولون فى بلادكم : خبير اجناس وعادات وتقاليد ، والتكنوقراطية ليس لهـا لون محـدد . هى تخـدم فى كـل نظام ، ، تماما مثـل البيروقراطية ، وتماما مثـل طبقة المديرين نحن مثـلا ندرس الاجناس أو نصنع الصواريخ أو تدعونـا البـلاد المختلفة لوضع التقارير عن مشاكل التضخم أو اختلال ميـزان المدفوعـات او آلانفجـارات السكانية او التنميـة الصناعية ، نحن لا نسأل : ما لونكم ؟ راسمالى ؟ شيوعى ؟ ثيوقراطى ؟ سمخراطى ؟ جنبلاطى ؟ فلمـاذا تسألوننا عن لوننا ؟ نحن خبراء .

مجاهد بن الشماخ : خبراء تخريب .

مالينوفسكى : نعم هـذا صحيح . بعضنا فعـلا خبراء فى نسف المعتقدات الفاسدة ، على كل حال انـا لست منهم ، لو كنت منهـم لكانت مسـز مالينوفسكى تصيف فى دوفيـل وبياريتز ولاتوكيه بـدلا من ان تصيف فى برايتون وبلاكبول مع زوجات البقالين وموظفى البنوك . انـــا مجرد خبير اجناس وعادات وتقاليد ، اذا اردتم مثلا ان تعرفوا مـــا اصل عـادة الختان عندكم رغم عـدم النص عليهـا فى ديانتكم او لمـاذا تزورون المقابر رغم نهى ديانتكم عن زيارتها ، او لمـاذا تقاومون دعـوة تحـديد النسل رغم انكم مهـددون

بمجاعة سنة ١٩٨٠ حيث سيبلغ تعدادكم ٤٥ مليونا . فأنا فى خدمتكم · كل ما أطلب هو عقد عمل خمس سنوات قابلة للتجديد لمدة اقامتى ، أنا شخصيا من نوع التكنوقراطية التى تصنع القنابل الذرية وسفن الفضاء وأفكار السلام وأفكار الدمار ولا يهمها من يستعملها أو لماذا يستعملها ، ضمير مهنى ، نعم · أما ضمير انسانى فلا · نحن خدم ممتازون فى كل دولة · أو على الاصح كنا خدما ممتازين حتى الحرب العالمية الثانية ، فلما زاد عددنا بتعقد المدنية تكونت منا طبقة لا تستطيع اى دولة الاستغناء عنها ، والشعار الان فى بلادنا : يا تكنوقراطى العالم اتحدوا لتحكموا العالم ، هناك طبعا كلام فارغ كثير عن اخطارنا وضرورة الحد من شوكتنا ، ولكن كل هذه سخافات ، لانه ليس لنا بديل فى اى نظام · انتم مثلا ، انا أقمت بينكم اسبوعا واحدا وعرفت للفور ان عندكم مشكلة تجمع طبقى تكنوقراطى – بيروقراطى – ادارى لمكافحة تقدم الاشتراكية فى بلادكم ، وهذا مألوف ، ثم زواج مصلحة غير مألوف بين انتهازية اليمين وانتهازية اليسار ، انتم بحاجة الى خبير أو خبراء فى التنظيم الاجتماعى انا ارشح لكم صديقى البروفسور ··

صانع الاقنعة : ما كل هذا الاستطراد يا خواجة ؟ انت جئت لتحدثنا عن حال المرأة الذهبية فى العصر الذهبى ،

فما كل هـذا اللغـو عن التكنوقراطية والبيروقراطية ؟ ٠٠٠ ادخل فى الموضوع والا فاسكت ٠

مجاهـد بن الشماخ : الم اقـل لـكم ان هـذا الاوروبى النجس لا يريد ان يعود الى بـلاده ؟ هل سمعتم ؟ انـــه بطلب عقـد عمل ٠٠٠ اطرده ٠

صانع الاقنعة : بالحسنى بالحسنى ٠

كاهن انوبيس : انـا احتج على الخواجة مالينوفسكى اذا استمر فى الكلام ، هـو حدثنا عن حـالة المـرأة الذهبية فيما قبل التاريخ ، وهـذا حقـه لانـه اختصاصى فى مجتمعات الفطرة الذهبية ٠ امـا ان يدخـل فى التاريخ فهذه اسـاءة لتاريخنا ولتاريخ الجنس البشرى ٠ اذا تكلم مالينوفسكى عن قدمـاء المصريين فسأنسحب ٠ لن أسمح أن يعامل قدمـاء المصريين معاملة البوشمان والهوتنتوت والاشانتى ٠ الينـا بمؤرخ ٠

مالينوفسكى : انتم فعـلا بحاجة لمؤرخ . الى متعهـد توريـد حضارات قديمة ووسيطة وحديثة ٠ انـا سـعيد يا سـادة بأنكم اصبحتم تميزون بين الانثروبولوجى والمؤرخ لابـد ان هـذا حـدث بعد ثـورة ١٩٥٢ ، فقـد كنـا ايـام فـؤاد وفاروق نرسل لكم السمكرى فتعينونه مديرا للمصانع والشاويش فتعينونه حكمدارا والمرابى فتعينونه مستشـارا ماليا ٠ انـا اعرف طبيبا بيطريا كان يـدرس الادب الانجليزى

بجامعة القاهرة ، على الاقل انتم تفضلون الآن الحواة لشغل المناصب الكبرى . والحواة ارقى بكثير من هذه الحثالة . فحواة الثقافة يستطيعون ان يثبتوا لكم ان الشيخ زبير هو الذى كتب اعمال شكسبير وان عباس بن فرناس هو الذى بدأ فى غزو الفضاء وان اللغة العربية اقدم من اللغة اليونانية وان ايخمان رسول من رسل القومية العربية وان المسيح صلب ولم يصلب بحسب الظروف الدولية تماما مثل الحواة من كرادلة المجمع المسكونى ، وأن خوفو بنى الهرم لتنشيط السياحة وان ابا ذر الغفارى هو مؤسس المادية الجدلية وابن خلدون هو واضع الاشتراكية العلمية . وحواة الاقتصاد يثبتون لكم كل يوم بعلم السيمياء ان الرقم القياسى لنفقات المعيشة فى انخفاض مستمر وأن القاهرة أرخص بلد فى العالم وان نسبة نجاح الخطة الخمسية ٥٠٠٠٪ وان احتياطيات مصر من البترول تربو على كل احتياطيات العالم مجتمعة ، وانه انفع للاقتصاد القومى ان يبيع خريجو الجامعات الزائدون الدجاج فى الجمعيات التعاونية من ان يقوموا بمحو الامية ، وامهر هؤلاء الحواة جميعا هم من يستطيعون ان يثبتوا ان موارد مصر تستطيع اطعام سكان الصين الشعبية ، سأنسحب فورا أيها السادة . واشكركم على حسن الضيافة وحسن الاستماع . اذا اردتم مؤرخا ، فلماذا لا تدعون صديقى السير جيمس فريزر او هيكله العظمى على الاصح ؟

كـاهن اتوبيس : نحن نعـرف من ندعو يا خواجـة ٠ كل اساتذة جامعتنا يقولون : هاتوا روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : روستوف ٠٠٠ ايـه ؟

كاهن اتوبيس : روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : لـماذا تختار هـذه الاسماء الصعبة ؟

كاهن اوتوبيس : انـا لا اختار ، هـذا احسن الموجود٠

مجاهد بن الشماخ : انـا معترض على دعوة هـــذا المبشر المسيحى الشيوعى الامريكى ، الا ترون ان اسمـــه شيوعى ؟

ابن ماركوف : موافقون ٠٠٠ اى : اوف ، أو ايـــف اوافسكى أو انسكى موضع ثقـة فى اى علم من العلوم ٠ مثلا مندليف حجـة فى الفلزات واللافلزات ودياجيليف حجـة فى الرقص ، وليونتييف حجـة فى الاقتصاد وزينوفييف حجـة فى المؤامرات كذلك بافلوف حجـة فى البيولوجيا وتيتـوف حجـة فى غـزو الفضاء ومولوتوف حجـة فى السياسة الخارجية وجوكوف حجـة فى الحرب ورمسكى كورساكوف حجة فى شهر زاد وشرباتوف حجة فى الفلسفة وتوجان بارانوفسـكى ومايا كوفسكى ، ثم لا تنسبوا ايضا من ينتهون بمقطع اين مثل بوخارين وجاجارين وباكونين وبورودين ٠ كلهم كلهم موضع ثقتنـا ٠

ابن سيركوف: لا ٠ لا ٠ روستوفتيسيف امريكى من اصل روسى ٠ ثم انــه ليس شيوعيا ٠

ابن ماركوف : ولو ٠٠٠

مجاهد بن الشماخ : بالضبط هــذا يثبت ما قلته من انــه جامع النقيضين : مبشر وشيوعى ٠

صانع الاقنعة : يبــدو ان الاغلبية موافقة ، ولــــكن لغير الاسباب التى ابــداها مجاهــد بن الشماخ ٠٠٠ ادباؤنا ثــم يسمعوا بعــالم فى التاريخ القديم بعــــد شمبوليون وماسبيرو ومرييت لان هنــاك شــوارع بأسمائهم حــــول الانتكخانة ، وبالاخص ماسبيرو الذى فيــه التليفزيون العربى واذونات الصرف ، وعنــدما تشطب الحكومة اسماءهم وتسمى الشوارع شارع احمــد باشا محرم وشارع سليم بك حسن وشارع كمال الــلاخ فلن يعــرف أدباؤنا احــدا من هــؤلاء الخواجــات ٠٠٠٠ القــاعدة فى مصر : اسمى على شارع اذن فأنــا موجود ٠ سليمان باشا الفرنساوى مثلا الغينا شارعه فألغينا وجوده ٠ هل توافقون على دعــوة شمبوليون ؟

المعلم العاشر : ولكن معلوماته قديمة ٠ ادع برستيد أو اليوت سميث أو فلنــدرز بيترى ٠

أصوات كثيرة : موافقون ٠ موافقون ٠ الدهن فى العتاقى

صانع الاقنعة : الاغلبية موافقة ٠ أدخل يا شمبوليون

وهنـا اختفى مالينوفسكى فى طرفة عين ، ودخـل شمبوليون فى طرفة العين الاخرى ٠

شمبوليون : أنا مت منـذ ١٣٠ سنة فلماذا تزعجوننى من قبرى ؟ ماذا تريدون ؟

صانع الاقنعة : متأسفين ٠٠٠ ولكن اردنـا ان نعرف منك شيئا فى حال النساء فى العالم القديم لنقارنهن بنسـاء اليوم ٠ هنـاك بيننـا من يقول ان نساء الزمان الغابر كن افضل من نساء اليوم ، ويطالب لذلك بالعودة للزمان الغـابر انا انبـه على جميع الحاضرين ٠٠٠ ممنوع المقاطعة ٠

شمبوليون : انـا لا اعرف حكاية افضل واردأ هـذه ٠ هـذه احكام ، وانا لا اتعامل الا مع الحقائق فقط ٠

ابو الفتوح الصباح: يعنى ان نساء زمـان كن أولا يقبلن حـكم الرجال ولا يفكرن فى هـذه الـخرافات التى يسمونها اليوم تحرير المراة ٠٠٠ وكن ثانيا اكثر عفـة من نساء اليوم ٠

صانع الاقنعة : ممنوع التعليق ٠

شمبوليون : عفـة ؟ هئ ٠٠٠ هئ ٠٠٠ هئ ٠٠٠ اين ؟ فى اليونان ؟ انت لا تقصد ان هيلانة طرواده وفيدرا وجوكاستا وميديا وكليتمنسترا كن نماذج فريدة فى العفة ؟ الادب اليونانى والرومانى اكثره منسوج حول نساء خائنات او ضاريات ٠ فى مصر القديمة عندكم قصة زليخـة امرأة

العــزيز تتردد كثيــرا فى الادب المصرى القــديم • مكــررة بحذافيرها فى قصة الاخوين وفى قصة المراة عاشقة الفتى الذى أكله التمساح المسحور وغيرها • أليس الادب مرآة الحياة ؟ أمــا فى بابل فهيرودوت قبــل نحــو ٥٠٠ ق٠م (١٩٩/١) قال ان كل امراة فى بابل ، يعنى العــراق ، كانت قبل زواجهــا تذهب الى معبــد عشتروت ربــة الاخصاب وتسلم بكارتهــا لاحــد الغرباء ، اى غريب يأتى ويلقى فى حجرها قطعــة من النقود • طبعــا هــذه كانت طقوسا دينية • نــوع من النذر كما تسمونه هنــا ، لربة الاخصاب ، أو قربانا تقــدمه المراة لربــة الاخصاب ، وكان محرما عليها ان تجرب هــذه التجربة مرة ثانية بأى حال من الاحوال ، اذا كانت هــذه عفــة ، فــلا بأس ، لا بأس ، فى امريكا اليوم كثير من البنــات يقمن بهــذه الجراحة قبل الزواج عنــد الطبيب ، لاسباب صحيــة لا لاسباب دينية • تعــددت الاسباب والفعــل واحــد •

ابو الفتوح الصباح : اعــوذ بالله اعوذ باللــه •

شمبوليون : اما حكاية خضوع المراة لولايــة الرجل فى العالم القديم فهى صحيحة بوجــه عام : صحيحة بين اليونان صحيحة بين الرومــان • المجتمــع الوحيد الذى شــذ عن هــذه القاعــدة هو المجتمع المصرى القديم •

فى معلوماتى القليلة عن تاريخ الشرق القديم ان مصر هى التى ابتدعت حركة تحرير المراة • مثلا فى برديــة آنى

(نحو ١٣٠٠ ق٠م٠) ما يثبت ان الزوج المثـالى فى مصر القديمة هـو الـذى كان يغسل الصحون مع زوجتـه ويقشر معها البطاطس مثـل الزوج الامريكى ، ويعاملهـا معـاملة النـد . فلا يستعمل معهـا « المريسه » ، آنى ، حكيم الدولة الحديثة ، يضع للازواج القواعـد الذهبية للزواج السعيـد فيقـول :

« لا تمثـل دور الرئيس مع زوجتك فى بيتهـا اذا كانت ماهرة فى عملهـا ، ولا تسألهـا عن شىء اين موضعه اذا كانت قـد وضعته فى مكانه المـلائم ٠

« واجعل عينيك تلاحظان فى صمت حتى يمكنـك ان تعرف اعمالها الحسنة » ٠

« وانها لتكون سعيدة اذا كانت يدك معها تعاونها ٠٠»

ففى عصركم الذهبى اذن كان الرجل الذهبى مرهوناً عند المـراة الذهبية ٠ وكانت المـراة المصرية تسمى « نبت بـر » اى « ست الـدار » أو « ست البيت » ، ولـكن النقـوش والنصـوص المصرية القـديمة تثبت أن سيادتها تجاوزت مملكة البيت ، أو على الاصح جمهـورية البيـت الديمقراطية الشعبية ٠ فكانت تزرع وتقلع وتخرج الى المدرسة والى السوق وتتاجر وتزاول مختلف الحرف من الصناعة الى الصيد وتتسكع فى الطرقات بـلا حارس أو شابيرون او رقيب وكانت طبعـا سافرة ٠ وقـد استخلص بعض المؤرخين من

ادب الغرام فى مصرالقديمة ان المرأة هى التى كانت تخطب الرجل ... على اى حال فى كل تاريخ بابل واشور لا نسمع الا عن اسم ملكة واحدة حكمت فى الرجال هى سميراميس ، مؤسسة مدينة بابل وبانية الحدائق المعلقة المشهورة . اعتقد انكم فى القاهرة اقمتم فندقا لتخليد ذكراها ، وفى اعلاه روف جاردن لتخليد ذكرى الحدائق المعلقة . أما فى مصر فقد حكمت ملكات كثيرات ، وكن ذوات سطوة عظيمة : احيانا بمفردهن واحياناً مع ازواجهن . احيانا بقوة القانون واحيانا بقوة الواقع . خذوا مثلا نايت حتب زوجة مينا ومريت نايت زوجة اوسافايس وحتشبسوت اخت تحتمس الثالث وتاى ونفرتيتى ونفرتارى ونيوتوكريس وكليوبترا .

خولة المايسطرية : لا تنس شجرة الدر يا خواجة شمبانيا .

شمبوليون : بالضبط . بالضبط . وحتى بعد انتشار اديان التوحيد كان عندكم هيلانة المصرية امبراطورة ديزنطة وأم الامبراطور قسطنطين ، وكذلك ست الملك وشجرة الدر ولو اننا نظرنا فى كل حضارات العالم القديم لما وجدنا شعبا سلم ذقنه للنساء الملكات قبل الشعب المصرى . مجرد الاحصاء يكفى . طبعا هذا لا يدل على الضعف لانكم لاشك كنتم تضربون نساءكم عند الضرورة كما كنا نحن

نفعل منــذ قرون · ولكن هــذه مسألة أخرى · انما يــدل هــذا على ان المرأة عندكم حصلت على حقوقها السياسية من أقــدم العصور · فلماذا تشتكون ؟ ثم ان ملكاتكم عرف عنهن انهن نساء جميلات طامحات بارعات في فنون الحب والحرب والسلام ، كمـا كن ماهرات فى الدسائس لحسابهن الخـاص ولحساب الدولة · ونحو عـام ١٥٠٠ ق٠م٠ استشرى نفوذ النساء عندكم واضمحل نفوذ الرجال لـدرجة ان كثيرين من الملوك تحولوا الى مجردامراء يحملون لقب « زوج الملكه » على طريقة دوق ادنبره الآن فى انجلترا · وطبعـا هـــذا الاسراف فى تحرير المرأة ، ككل اسراف · كان له رد فعل شديد ضــد حكم النساء ، فقامت حركة بقيـادة الجيش لاقصائهن عن الحكم ، وتبلورت هــذه الحركة فى النزاع المشهور بــين تحتمس الثالث واختــه حتشبسوت · ولكن المرأة المصريــة مع ذلك لم تيــآس · فبعــد ان ضاع سلطانها فى القصر حكمت مصر من المعبــد ، ونحــو القرن ٨ ق٠م٠ اى فى الاسرة ٢٣ ، اصبحت احــدى الاميرات رئيسة الكهنــة بمعبــد آمون فى طيبة ، وكانت تستشار او على الاصح تستخار بالعرافة ، فقــد كان الاله آمون يتكلم من فمهــا وينطق بلسانها ، قبــل اتخــاذ اى قرار سياسى خطير · ولــم يكن مسموحــا لهــا أن تتزوج الا من الاله آمون ، ولكن ســمح لهــا أن تتبنى بنتــا صغيرة تــدربها لتخلفهــا فى وظيفتها · وبذلك أصبح

معبد آمون مقرا لحكومة غير رسمية فى الاقصر استمرت أكثر من ٢٠٠ سنة حتى غزا الفرس مصر •

والمرأة المصرية لم يقف نفوذها عند السياسة بل شملت سيطرتها فى البيت أيضا ، لدرجة ان الرحالة اليونان دهشوا من حرية المرأة المصرية واستفحال سلطانها • ديودور الصقلى مثلا كتب ان طاعة الزوج لزوجته كانت من الشروط التى ينص عليها فى عقود الزواج فى مصر • ولكن الارجح ان هذه كانت نكتة يونانية سمجة عن المصريين كالنكت التى يطلقها عندكم البحاروة عن الصعايدة والصعايدة عن البحاروة ، وصديقى العلامة فلندرز بيترى فى القرن ٢٠ كتب ان « الزوج حتى فى العهود المتأخرة كان ينزل لزوجته فى عقد زواجه عن جميع املاكه ومكاسبه المستقبلة » يعنى المثل عندكم فى مصر القديمة كان زواج وخراب ديار • على العموم أى انسان معذور اذا استخلص هذه الصورة عن الحياة الزوجية فى مصر القديمة ، حين يقرأ فى قصيدة غرامية كلام البنت وهى تقول للولد :

« يا صديقى الجميل ! انى ارغب ان أكون صاحبة كل املاكك ، بوصفى زوجتك » • فهو بمثابة قولها : « خدنى فى أحضانك لانشل محفظتك » • طريقة غريبة فى الغرام ، ولكنها على الاقل تدل على صراحة نساء العصر الذهبى عندكم • نساؤنا اليوم يفعلن هذا ولكن بالحداقة • وفى

المتحف المصرى عقد زواج من سنة ٢٣١ ق٠م٠ بين رجل اسمه امحوتب وبنت اسمها تاحاتر نصه :

« يقول امحوتب لتاحاتر » : « لقد اتخذتك زوجة ، وللاطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك ٠ وما سأحصل عليه الاطفال الذين تلدينهم لى يكونون أطفالى ولن يكون فى مقدورى أن اسلب منهم أى شىء مطلقا لاعطيه الى آخر من ابنائى ٠ أو الى أى شخص فى الدنيا ٠ ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهريا وسنويا ، وسأعطيه لك اينما أردت » ٠ (غالبا يقصد سواء فى بيتى أو بيت أبيك او ربما فى المعمورة اثناء الصيف) ، واذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة واذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة (وهذا أما رشوة لها لتبقى معه أو اعتراف بأن التعذيب العقلى افظع من التشريد) : ويقول أبى : « تناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه ٠٠٠ انى موافق على ذلك » ٠

ثم يلى ذلك توقيعات ١٦ شاهدا على العقد ٠ والعقد معقول لانه يعطى كل شىء للاولاد وليس لتاحاتر نفسها ، ومصادرة كل أملاك امحوتب لحساب أولاده من تاحاتر ليس له الا معنى واحد فى مجتمع كان يسمح بتعدد الزوجات : ان تاحاتر هى الزوجة « الشرعيه » الوحيدة ، وكل من سيأتى بعدها يدخل فى باب « المحظيات » وهى أنجح طريقة للحد

من تعـدد الزوجات ولمنـع تفتيت املاك الاسرة ، وهـــذا مـا جعل الطلاق نـادرا فى مصر القديمة ، الا فى عصور الانحطاط وكان للمراة حق طلب الطلاق تماما مثـل الرجل حتى جـــاء اليونـان بافكارهم الاوروبية الرجعية وقصروا حق اطلاق على الرجل ايام البطالسة ٠ ٠ امـا تعـدد الزوجات فلم يكـن معروفا الا فى الطبقات الموسرة ٠ وكان ابناء الشعب يكتفـون بزوجـه واحـدة ، غالبا لضيق ذات اليـد ٠ وقـد اكتشفت المراة المصرية الحـديثة هـذا السر ، وهـذا هو السبب فى أنهـا تنتف دائما ريش زوجها أولا بأول حتى لا بطيـر من عش الزوجية ٠ ومع ذلك لم يفكر أحـد منكم أن هذا يؤثـر فى اقتصـادكم القومى ، على كل حال ، واضح من الادب المصرى القـديم ان المصرى كان رومانتيكيا وواقعيا وكلاسيكيا ورمزيا معـا فى فكرته عن المرأة وفى معاملته لهـا ٠ اما اللامعقول فـلم يظهر عنـدكم الا فى الالف سنة التى حكمها الترك والمماليك ، خـذوا مثلا بتاح حتب ، حكيم الدولة القديمة (٢٥٠٠ ق٠م) وهو يحض ابنـه على الزواج ويسلمه مفتاح الســـعادة الزوجيـــة ٠

« أحب زوجتك فى البيت كما يليق بهـا وأملا بطنها واكس ظهرها » ٠

« واعـلم أن الدهون العطرة عـلاج لاعضائها ٠

« أسعـد قلبها مادامت حيـة ٠

« لانهـا حقـل طيب لاولادها ...

« وان عارضتها كان فى ذلك خرابك ...

اما وصايا الحكماء فى احترام المراة كأم فنجدها فى بردية بولاق حيث يوصى الحكيم الابن باحترام أمه للاسباب البيولوجية المعروفة ثم يضيف :

« ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقف فى كل يوم الى جانب معلمك ومعها الخبز والبيرة جاءت بهما من البيت » .

والاغلب ان الخبز والبيرة هنا للمعلم لا التلميذ . على كل حال الوصف رومانتيكى ويجعل الانسان يتمنى لو كان معلما فى مصر القديمة يشرب البيرة بين الحصص . فاذا كانت ام تأتى للمعلم يوميا برغيف وزجاجة استيلا كان هذا اجدى على المعلمين من مرتبات وزارة التربية والتعليم ، الا توافقوننى على ان هذا كان عصرا ذهبيا للنساء والمعلمين ؟

الماركسية المسخسخة : كيف تقول انه كان عصرا ذهبيا للنساء وانت تعلم ان القانون المصرى القديم كان يبيح امتلاك الاماء .

نسمبوليون : وامتلاك العبيد ايضا . امتلاك البشر للبشر مسالة اخرى . والحقيقة ان الحالة تحسنت بعد سنة ٢٠٠٠ ق.م. تقريبا بتعديل قوانين الاحوال الشخصية فى مصر القديمة . فقبل هذا التاريخ كان « الزواج » مجرد

الزواج بالمعنى القانونى اى الزواج بعقد ، امتيازا تتمتع به الطبقات الممتازة وحدها ، أما ابناء الشعب فكانوا يتزوجون بلا عقود • فثارت ثورة شعبية كبرى نحو ۲۰۰۰ ق٠م٠ وكان المتظاهرون من العمال والفلاحين والحرافيش يرفعون اللافتات ويهتفون : « القطط والقرود تتزوج بلا عقود ! » « تحيا عقود الزواج ! » « نريد عقود زواج ! » وأذعنت الطبقة الحاكمة فأعطت لابناء الشعب حق الزواج بعقود • ويقول بعض المؤرخين ان البروليتاريا المصرية لم تنتفع كثيرا من هذه العقود لان العقود تنظم الملكية والبروليتاريا بلا ملكية • ولكن ثابت من الوثائق ان هذه الثورة أعطت الفقراء الحق فى ان تكون لهم « مقابر أسرة » ، تقيمفيها الاسرة شعائر الموتى ، وبهذا وحده امكن الموتى الفقراء دخول العالم الآخر بحسب معتقدات قدماء المصريين ، كانت البروليتاريا المصرية محرومة من خلود الروح قبل هذه الثورة • وبذلك تكون هذه الثورة ثورة ديمقراطية عظمى ، لانها انقذت البروليتاريا المصرية من مصير القطط والكلاب عند الموت وسوت بين جميع المواطنين فى حق الخلود ، وهذا ما نسميه منذ ظهور اديان التوحيد المساواة أمام الله ، تصوروا : حتى هذا كان بحاجة الى ثورة واعلان حقوق الانسان ، وبديهى انه من ليس له أسرة فلا يمكن ان تكون له قبور اسرة ، وبالتالى لا يمكن

الصلاة عليه وتقديم الرحمة أو القرابين على روحه ، فمصيره اذن مصير القطط والكلاب ۰ وعندكم حتى الآن ان كل من يخرج من مشرحة القصر العينى ولا تظهر له اسرة يكون مصيره مصير القطط والكلاب ، رغم ان عندكم جمعيات للرفق بالحيوان وجمعيات خيرية للرفق بالبشر ۰ وهذا هو سبب ارتعاد الفقراء عندكم من الموت فى القصر العينى ۰

أظن أن صديقى مالينوفسكى شرح لكم سبب استماتة فقرائكم فى زيارة المقابر رغم انكم لا تكفون عن ترديد انها مكروهة فى الاسلام وغير منصوص عليها فى المسيحية ، انهم فى سنة ۲۰۰۰ ميلادية يحافظون على مكاسب ثورة ۲۰۰۰ ق۰م۰ فاذا كانوا لا يصيبون المساواة على الارض فلا أقل من أن يصيبوها فى السماء ۰ طبعا هذه بقايا وثنية بينكم ،ولكنكم لستم وحدكم فى هذا ، فالعالم المسيحى ايضا يرتعد مثلكم من مصير القطط والكلاب ، هل رايتم الآن فائدة نظام الاسرة ؟

والمراة المصريه طبعا لم تحصل على حقوقها السياسية الا بعد ان حصلت على حقوقها المدنية ، ولم تحصل على حقوقها المدنية الا بعد أن حصلت على حقوقها الشخصية ، مثلا كانت البنت ترث بالضبط مثل نصيب الولد وكانت المراة تتصرف فى أملاكها بالضبط كما يتصرف الرجل ۰ عندكم مثلا وثيقة من الاسرة الثالثة

توصى فيهـا سيدة اسمها نبس ـ سمحت بأطيانها لأبنائها وفى قانون العقوبات وقوانين الاحوال الشخصية كانت المرأة مساوية للرجل تماما • كانت عقوبة الخيانة الزوجية هى الاعـدام لاى طـرف من الاطراف : الـزوج أو الزوجـة أو العشيق أو العشيقة • عقوبة قاسية طبعا ، ولكنهـا تقوم على المساواة على الاقـل ، وفى هـذا بعض العزاء للجنس اللطيف ويبـدو ان المصريين كانوا ينظرون للخيـانه الزوجية نظرتنا الآن للخيانة الوطنية ويعتبرونها ام الكبائر ، مثلا فى بردية آنى ، حـكيم الدولة الحديثـة ، يقول آنى عن الزنـا : « ان ذلك لجرم عظيم يستحق الاعـدام عندما يرتكبه الانسان ثـم يعلم بذلك الملا (يعنى تعم الفضيحة) ، لان الانسـان يسهل عليه بعـد ارتكاب تلك الخطيئة ان يرتكب أى ذنب » وانى الحكيم فى مكان آخـر من البردية ، يحـذر الرجـل من شباك المرأة المحرومة : « ان المرأة البعيـدة عن زوجها تقول لك كل يـوم : انى جميلة ! عندمـا لا يكون لديها شـهود (يعنى عنـدما تنفرد بـك تبـدى محاسنهـا وتغمـز فى اغراء) ، وهى تقف وتلقى الشباك ••• ما اشـدها خطيئـة تستحق المـوت اذا استمع اليها الانسان • » وآنى فى الحالين يخاطب الـذكور لا الاناث ، فكان سقوط الرجل مـع امراة متزوجـة كانت عقوبته اعـدام الرجل • وآنى فى الحقيقـة يخاطب العزاب ، لان برديته موجهـة الى شاب اعزب يحضه

فيهـا على الزواج ويشرح قوانين الحياة الزوجيـــة ، فكانت عقوبة الاعزب على الزنـا مع محصنة هى الاعـدام ، فما بالك بعقوبة الرجل المتزوج ! لابـد انهم كانوا يعلقونه من اذنيه وعلى العموم نص القانون فى مصر القديمة على ان الزوجـــة الزانية تفقـد حقها فى مؤخر الصـداق حين تطـلق ، وهـذا يـدل على ان توقيع عقوبة الاعـدام كان لا يمارس الا بشروط معينـة كالتلبس واصرار المجنى عليه وربما شروط اخرى .

وكان الاعـدام المفضل عنـد المصريين القـدماء هـو بالالقـاء الى التماسيح وليس بالقـاء الطوب ، وأذا اردتـم احيـاء هـذه العقوبة الذهبية فيمكنكم ، نظرا لعـدم وجود تماسيح فى النيل ، أن تستعيضوا عن ذلك بالقـاء الزنـاة للاسود فى السيرك القومى الـذى تنشئه الآن وزارة الثقافة واذا اردتم طريقه افعـل فى النهش والتمزيق فاحكموا عـلى الزناة بالاقامة ٢٤ ساعة متواصلة فى مسرح الحكيم أو فى كافتيريا سميراميس أو فى قهـوة ريش بين الادبـاء والفنانين والصحفيين وستكون النتيجـة محققة : لن يميز احـد لحمه من عظمـه .

انـا شخصيا لا احب التماسيح ، وافضل بكثير العقوبة البابلية فى اعـدام الزنـاة ، فهى طريقة رومانتيكية جـدا ، وياحبـذا لو اخـذ بهـا الشرع الحديث لانهـا ستجعـــل موضوع الخيانةالزوجية الموضوع المفضل عنـد الفنانـــين

التشكيليين وترفع مستوى الروايات التى تكتب حـول هذا الموضوع ، فى قوانين حمورابى (نحـــو ٢٠٠٠ ق٠م) ، فى حـالة التلبس ، التلبس فقـط ، كانت العقوبة هى الاعــدام غرقا ، كان يلقى بالمرأة وعشيقها معـا مقيدين فى دجلـــــة أو الفرات ، ليعبرا النهر • فاذا نجوا كان معنى هــــذا ان الالـه حكم بالبراءة • واذا غرقا نزل بهما العقاب المنصوص عليه فى القانون • ولـم تكن هنــاك الا ثغرات قليلة فى هـذا القانون ! مثلا الابرياء الـذين لا يجيدون السباحة • وهـــو لم يحسب أيضـــا حساب نجـاة المرأة مثلا وغرق الرجل أو العكس ، ربما كان المفهوم ضمنا هـو أدائه الغريق بالزنـــا مع مجهول ، يعرفه الاله ولا يعرفه الناس . وفى هــــذه الحالة تستريح ضمائر البشر والآلهــة ، ويعود كل الى المــــدينة ليبحث عن خيـــانة زوجيــة جـديدة • فلا شــك ان هـــذه كانت تسلية يومية جميله ، وهى أرقى بكثير من مبــاريات كرة القـدم ، وهى لعبــة جاءكم بهـــا الاستعمار البريطانى ، على الاقــل هـــذه تسلية عربية ، وطبعا فى بابــل القديمة كان ينبغى على كل دون جـوان وكل خائنة ، اذا ارادا ان يفلتــا من الموت ، ان يكونـــا من ابطال السباحة ، ولا سيما سباحة المسافات الطويلة • ابو هيف مثلا وحنفى محمـــود ونبيل الشاذلى كانوا يستطيعون ان يفعلوا مابـدا لهم فى نينوى أو حتى فى منفيس ثم يخرجوا السنتهم للقـــــاضى

وللعسس ، فمن عبر المانش او اونتاريو او لوجانو سينظر دائما فى ازدراء الى المسافة من ميت رهينة الى البدرشين ٠ المؤكد ان احياء هذا القانون سيشجع الرياضة بينكم ، فاذا لم يقض على الخيانة الزوجية عندكم فهو لا شك سيجعل منكم ابطال العالم فى سباحة المسافات ٠

المهم انه حتى فى بابل تساوت العقوبة على الزنا ، ولكن للاسف بعد نحو ١٢٠٠ سنة من حمورابى ضاعت الرومانتيكية من بين النهرين أو « نهرينا » كما كانوا يسمونها ، ففى الدولة الاشورية صاروا فى العراق وسوريا يجدعون انف الزوجة الزانية ويخصون عشيقها ويقطعون آذان الوسطاء فى الخيانات الزوجية ٠ وحيث يرى الدم يطير الخيال ٠

اما الزوج الخائن فى بابل القديمة فلم يكن نصيبه الاعدام ٠ ومن هذا ترون أن مصر القديمة كانت اقرب لفكرة المساواة من بابل القديمة ٠ غير ان قوانين بابل القديمة كانت اكثر عصرية ، فعقوبة الزوج الخائن فيها كانت مدنية لا جنائية ٠ كان عليه ان يدفع لزوجته تعويضا ماليا عن خيانته اذا ارادت ، وهى طريقة عصرية لطيفة يمارسها كثير من الازواج فى اوروبا دون حاجة الى قوانين تنظمها ، واعتقد انها تمارس ايضا فى مصر الحديثة ٠ فالزوج الاوروبى كلما اراد أن يخون زوجته غمرها

بالهـدايا : بالمجوهرات ، بالمـلابس ، بالسيارات ، بالفسح وكلما زادت الهـدايا بعـد الزواج كان ذلك علامة سيئة • على كل حـال هـذا هـو المقابل العصرى للتعويض البابلى • أمـا فى مصر القديمة فالـذى كان يأخـذ التعويض هو التمساح •• لا الزوجـة •

وحتى فى بابل كانت المرأة شريكة للزوج لا أمة لـه • وقـد بلغ من اهتمام حمورابى بحماية الاسرة ان قوانينـه فيهـا ٦٤ مـادة لتنظيم الاسرة من ٢٥٢ مـادة ، أى ربـع قوانين الـدولة • طبعـا الـدولة ايامهـا لم تكن معقـدة كما هي اليوم ••• على كل حـال حمورابى اعتبر اساس الاسرة هـو « الزواج الاول » ، اى ان كل مـا بعـده فشوش • طبعا التسرى كان جائزا ، ولكن الزوج كان من حقـه ان «يتزوج» شرعـا للمرة الثانية مع الاحتفاظ بزوجته الاولى فى حـالة واحـدة فقط ، وهى عقم الزوجـة ، وحتى فى هـذه الحالة اشترط حمورابى ان تغسل الزوجـة الثانية قـدمى الزوجـة الاولى رمزا لانهـا زوجـة سكوندو ، وكان لا يجوز لرجل ان يحتفظ بزوجتين فى وقت واحـد الا بموافقة المحكمة •

أمـا الطلاق لسـوء السلوك فكان ممكنـا للزوج والزوجة على قـدم المساواة على طريقتكم الشفوية اذا لـم يكـن هنـاك التزامات مالية ، أمـا اذا أرادت الزوجـة ان تسترد مهرها ، فهى التى كانت تقـدم المهر ، وان يسمح لهـا بالزواج

مرة ثانية . فكان يتحتم عليهما الحصول على موافقة المحكمة فاذا رمى الزوج على زوجته يمين الطلاق كان مهرهـا من حقها وتحتم عليه الانفاق على الاطفال . قوانين عصرية اخذنا بها نحن فى بلادنا بعد ٤٠٠٠ سنة ، باستثناء حكاية الطلاق الشفوى هذه . فنحن نفضل التهاتر فى المحاكم لانه مسل للجيران والمعارف وقراء الصحف ، ونقدم مسرحياتنا الزوجية بالمجان للمتفرجين . على كل حال هذا عندنا افضل من ان يؤلف كل متفرج مسرحية عنا وينسبها لنا ، وهى غالبا ما تكون مسرحيات رديئة . ثم اننا وجدنا ان العروض الخاصة أمام الحموات والاخوال والاعمام فقط تخلط الشخصيات فتجعل من البطل وغدا ومن الوغد بطلا ، وكثيرا ما تحول التراجيديا الى كوميديا والكوميديا الى تراجيديا ... واكثر من هذا فهى تضيع الحقوق .

والحقيقة انه لم يستوقفنى قانون من قوانين حمورابى مثل القانون الذى يبيح للزوج رهن زوجته واولاده لمدة اقصاها ثلاث سنوات بموافقة المحكمة لضمان الدين . هذا كان حقا قمة العصر الذهبى . ولكن للاسف بعد الف وخمسمائة سنة من حمورابى فسدت أخلاق البابليين فأطالوا مدة الرهن وتحول رهن الزوجات والاولاد الى نوع متخصص من تجارة الرقيق الابيض والاسمر . ولولا حماقة

هؤلاء الاسلاف لامكنني ان اقترض على مدام شـــمبوليون مبلغا كبيرا من بنك الكريدى ليونيه واقوم برحلة بحرية جميلة حول العالم قبل ان تــدركني الوفاة ٠

والآن يا سيدى الرئيس ، والآن يا أصدقائى الاعزاء ، استودعكم اللــه لا عود الى قبرى واكفانى الذهبية واستأنف احــلامى الذهبية عن بــلادكم الذهبية التى قضيت كل عمرى ابحث فى أحوالهــا الــذهبية وتاريخهــا الــذهبى وافــك فى نقوشها الذهبية : لا تقولوا وداعــا ، بــل قولوا الى اللقاء ٠

وهكــذا تركنــا الخواجة شمبوليون فجأة بهذه النغمــة الحزينة ، وشيعه صانع الاقنعــة بنظرة ساهمة ثــم نهض وانصرف ، وقــد نسى حتى ان يقول : « رفعت الجلسة » ٠٠ فعرفنــا ان الجلسة لا تزال مستمرة عن الحضارات القديمة ٠

× المحاورة السادسة ×

افروديت الذهبيــة

قال صانع الاقنعة لحاجبالجلسة ، وكان يـدلله باسم الشمعدان المنطفىء لكثرة مـا احرق من شموع فى حياته :

ـ انظر يا شمعدان من ذا الـذى يطرق الباب ·

قال الشمعدان المنطفىء فى ادب جم :

ـ انه يا سيدى ، الخواجة روسوفتسيف ·

صانع الاقنعة : سله لمـاذا جـاء ·

الشمعدان المنطفىء : انـه يقول انـه سمع اسمه يتردد كثيرا فى الجلسة المـاضية فحسب انكم بحاجة اليـه ·

صانع الاقنعة : ولكننـا لم نـدعه ·· اطلب منـه ان ينصرف ·

الشمعدان المنطفىء : انـه يصر على الدخول يا سيدى ، ويقول اننـا شتمناه ومن حقـه ان يـدافع عن نفسه . ثـم انـه يقول انـه لم يحاضر ابـدا فى العـلم منـذ أن مات فى

١٩٥٠ أو ١٩٥١ ، فاذا رفضتم ادخاله فهو يطالبكم بتعويض لانــه كأى استاذ جامعى عنــده شهوة الكلام وانتم حرمتموه منها • وهو قــد تخلى عن تابوته من اجلكم وضيع اكفانه في الطريق الينا •

صانع الاقنعة : انــا لا ارى خطرا من دعــوة الخبــراء الاجانب الاموات ، روستوفتسيف بشهادة الجميع أكبر حجة فى العــالم القديم ، هل توافقون على دخوله ؟

أصــوات : لا مانع • لا مانع •

صانع الاقنعة : تفضل يا خواجه رستوف ••• مــــع السلامة يا مسيو شمبوليون • سلم على بونابرت •

روستوفتسيف : فى خــــــدمتكم • اى شىء عن مصر القــديمة • بابل ، أشور • اليونـان • الرومان •

صانع الاقنعة : لا • مصر القديمة فرغنا منهــا • تكلم عن اليونـــان والرومـــان •

روستوفتسيف : سيداتى ، سادتى •

على الزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : قبل ان يبــــدا الخواجة عنــدى نقطة نظــام •

صانع الاقنعة : ماذا تريد ؟

على الزيبق الجوكى : منــذ ان نشرت محاضر جلساتنا السابقة وكل الناس تعتقد انى الايديولوجى الفهلوى ، بينما اسمى عندكم هــو على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك •

وهـــذا يسبب لى مضايقات شـديدة فى كل مكان • أنـــا اطلب نشر تصحيح فى الاهرام • أو تغيير هـذا القناع الردىء الـذى صنعه لى المعلم العاشر •

صانع الاقنعة : ما قولك يا معـلم يا عاشر •

المعلم العاشر : النـاس على حق فى هـذا الالتبـاس لان صـفة الايديولوجية الفهلوية أوضح فيه منها فى زميله ، ولكن هذا لمجـرد أنه اكثر منه جلبة لا لانه اكثـر فهلوية • هـو مثلا يستطيع تنظير اى رغبـة أو مصلحة أو سـياسة أو موقف أو عمل أو فشل أو نجاح ويربطه بحتمية الحـل الاشتراكى وبقوانين الجـدلية المجيدة الملتحمة مع الواقـع الجزئى المترابط مع الواقع الكلى فى اطـار من الوعى التاريخى الصاعد ، وكذلك بالتطبيقات المرحلية الفهلوية للاشتراكيـة العربية المجيدة •

على الزيبق الجوكى : انـا احتج • هـذه لغـة ابن سير كوف لا لغتى •

المعلم العاشر : لا • انت مخطىء • لغـة ابن سيركوف هـى : ألاستغلاق الاستيطانى الحاصل من تداخـل الـذات والموضوع فى مقولات هوسرل وبراديبق الانحرافية اللامتفائلة بمصير الجنس البشرى • هـل تريد المزيـد ؟

صانع الاقنعة : كفى • ولمـاذا سميته اذن بعلى الزيبق الجوكى ؟

المعلم العاشر : لانـه الوحيـد بين كتاب مصر الـذى يعرف جوادا أصيلا اذا رأى جوادا أصيلا ثم يحـاول ركوبه لا مجرد التمتع بالنظر اليـه ، وهو الوحيد الـذى درب نفسه بنفسه على لعبـة السرك التى يركب فيها الجوكى على أربعة جياد فى وقت واحـد ويضرب بالانس على ظهورها الاربعه . وهو يفعل مثل هـذا فى السباق ، والجميل فى الموضوع ان كل جواد منها يعرف ان على الزيبق جوكى للجياد الاخرى أيضـا ، فيفكر لحظـة فى أن يطرحه أرضا ويعضه ويرفسه ، ولكنـه لا يلبث ان يغمره السرور لهـذه اللعبـة اللطيفـة فيحمله مبتهجـا ويلعقه . لهـذا سميته بالجوكى . أمـا الايديولوجية الفهلوية فصفة يشاركه فيها الكثيرون .

صانع الاقنعة : ولمـاذا على الزيبق ؟

المعلم العاشر : لان على الزيبق هـو زعيم جماعـة الشطار الظرفاء فى تاريخ الادب العربى ، وعلى الزيبق الجوكى باتفاق الكل سمباتيك الى أقصى حـد . وهو مثل سميه على الزيبق يعرف كيف يخرج من كل مأزق ، انـا شخصـيا استلطفه . ولو كنت جوادا لاعطيته ظهرى ليعتليه . لكنـه للاسف لا يرى فى الا حمارا كبيرا ، ويستشهد على ذلـك بعنـادى الشديد ويقول : يـا عبيط انت تتصـور الكون بالمطلقات على طريقة نيوتن . كل شئ عنـدك يسير بالتصور الذاتى ، بينما الحقيقة أن كل شئ يسير بالنقائض والاضداد والمراحل الجدلية . فاذا افترضنا ان الحياة سباق . والحياة

ـسباق فعلا ، فالسباق مراحل ، والمهم فى الحيـــاة ان تكون جوادا كريما · فاذا لم تستطع ان تكون جوادا نكن جوكيـا على اقـل تقدير · والمهم فى الحياة ان يتفاعل كل جوكى مع جواده حتى يقطع بـه المرحلة · والتفاعل سهل · اســـهل مـا يكون · اعط الجواد قطعة من السكر يتفاعل معك ويقهقة ضاحكا ويجرى بك الى آخر الشوط ، او الى آخر المرحلة · المهـم ان يجرى بك ولو مرحلة واحـدة · فكل مرحلة تقطع توضح الرؤية لانهـا تقربك من الهـدف · امــــا انت فلن تـدخل سباقا ابـدا لانك تصر على البرسيم ، والبرســـيم يجعل اذنيك طويلتين ، ولطول اذنيك لا يرى الناس انـــك جواد مع انك بالفعل جواد ، واعتقـد ان كثرة اكل البرسيم قـد احـدثت فيك تغييرا عضويا فجعلتك لا تصلح لشىء الا حمل الاثقال : مرحلة متوسطة بين البغل والحمار · جـرب السكر بـدلا من البرسيم وترقب النتيجة · وكنت دائمـــا اجيبه : خل نصائحك لنفسك ، فأنت اخيب جوكى فى الوجود برغم كل مـا تعطيه من السكر لكل الجياد · امـا حكـــاية الزنبرك فهى مجرد تكرار لنفس المعنى الموجود فى على الزيبق : تعنى الروغان وصعوبة الاحتواء · واحـدة منهما تكفى · اذا كان قنـاعى لا يعجبه فاصنع لـه قنـاعا ·

السندباد الجديد : انتم تضيعون الوقت فى المهاترات · نحن جئنـا لنناقش الرجعية والتقدمية · ارجئوا حكـــاية الاقنعة وتكلموا فيما يفيد ·

روستوفتسيفه : هل ابـدأ يـا سيدى الرئيس ؟

صانع الاقنعة : ابـدأ • ولكن اياك ان تحـــرج عن الموضوع ، الموضوع باختصار هـو : كيف كانت المراة فى عصرها الذهبى أيام اليونان والرومان •

روستوفتسيف : هل اتكلم بصراحة ؟

صانع الاقنعة : هل انت خائف من شئ ؟

روستوفتسيف : نعم • مسز روستوفتسيف لا تـزال على قيـد الحياة • ستنقطع عن زيـارة قبرى اذا تكلمت بصراحـة •

صانع الاقنعة : هـذا سبب ادعى للصراحة ، لانهـا لـو كانت معك لجعلت حياتك ••• اقصد موتك • جحيما •

روستوفتسيف : هـذا كان عصر طين وقطران وليس عصرا ذاهبيا • من ناحية الاخلاق ؟ عكس ما يتصور تمامـا المسيو صباغ • تصوروا ان اكثر ملوك اليونـان العظماء كانوا بقرون • الملك منيلاوس مثـلا استضـاف الاميـر الجميـل باريس ابن ملك طروادة فهرب بزوجته هيلانـة • لكن هنـاك شيئا يحيرنـا نحن المؤرخين : وهو كيف يقيم اليونان حـرب طروادة المهـولة لمدة عشر سنين ليثأروا لشرف منيـلاوس ويمـوت كل هؤلاء الابطـال ، ثم يعـود منيلاوس بهيـلانة ويجلس معها على عرش اسبرطه ويعيش معهـا فى تبات ونبات وكأن شيئا لم يحـدث • طبعـا هى بكت لـــه وقالت : لا تؤاخذنى انهـا الربة افروديت ضحكت على أو على الاصـح ـ بلغتهم ـ رمت على شباكا من حـــديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء باريس كالنائم نوما مغناطيسيا

ثم اخوه الملك الغازى اجا ممنون • عاد الى وطنه بعد عشر سنوات من الجهاد ليجد زوجته فى احضان ايجست • وقبل أن يفتح فمه ذبحته كالثور فى حمام القصر الملكى بالضبط كما فعلت ملكتكم شجرة الدر بزوجها الثانى عز الدين أيبك •• والملك ثسيوس أبو الاثينيين كلهم ماتت زوجته وتزوج من فيدرا فأخذت تطارد ابنه هيبوليت حتى دفعته الى الانتحار ثم انتحرت ، وكانت دائما تردد : انها افروديت • انها الربة افروديت ••• القت على شباكا من حديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء هيبوليت كالنائم نوما مغناطيسيا ••• وغيرهن • وغيرهن • كل النساء الزانيات فى اليونان القديمة كن يمسحن خيانتهن فى ربة الحب افروديت • تماما كما نقول نحن : الشيطان وزنى •• الوحيد الذى نجا من هذا المصير هو أوليس زوج بنيلوب • حتى البطل هكتور • لو أن زوجته اندروماك كان عندها ذرة من الفضيلة والشجاعة لانتحرت قبل ان تسبى مع ولدها بعد موته وتنام تحت سقف قاتل زوجها •

أبو الفتوح الصباح : الم نقل لكم ان كل الفسوق جاءنا من الغرب ؟

اغا طبوزادة : بالغزو الفكرى • من ايام العصر الحجرى الحديث ••• الى اليونان ••• الى الرومان ••• الى الحروب الصليبية ••• الى الفرنسيين ••• لغاية الفرنسيين • أما الانجليز والامريكان والالمان ، كل الانجلو سكسون فنحن

غزوناهم فكريا وهم لهذا ارقى شعوب الغرب بسبب تحالفهم مع الاتراك ·

ابو الفتوح الصباح : بالضبط · كل الفساد جاءنا من أوروبا · بتحرير المراة ·

روستوفتسيف : المسيو ابو الفتوخ الصباخ يقول أن كل الفساد جاءكم من أوروبا · أنا لا اعرف شيئا عن أوروبا بعد سقوط روما فى ٤٧٦ ميلادية · ولكن المشكلة التى يبحثها علماء اوروبا الآن هى : هل انطونيوس هو الذى اغوى كليوباترا أو كليوباترا هى التى اغوت انطونيوس

ابو الفتوح الصباح : ماذا يهم ؟ الاثنان خواجات ·

روستوفتسيف : لا يا مسيو صباخ ··· كليوباترا عندكم جريجية أما عندنا فهى طبعا مصريه ، هى وعائلتها اليس عندكم مثل يقول : من عاشر القوم اربعين يوم ؟ البطالسة عاشروكم ٣٠٠ سنة وصاروا منكم ··· مثلا بطليموس الثانى المعروف بفيلادلفوس (٢٨٥ ــ ٢٤٧ ق·م) اراد ان يثبت لكم انه مثل الفراعنة تماما فتزوج اخته ارسينوى ··· حتى كليوبترا تزوجت عن اخيها بطليموس ١٣ وكان عمره ٨ سنين ··· عندنا ··· ٣٠٠ سنة حاجة عظيمة . تكفى لظهور واختفاء عشر امبراطوريات ، أما عندكم فحساب الزمن بالقرون لا بالسنين ···يوم الحكومة بسنة لكن سنة الشعب بيوم ··· انا شخصيا افضل طريقتكم لانى مؤرخ ، والتاريخ يقوى الذاكرة ··· كآهن انوبيس مثلا يعرف كل اسماء الشوارع فى منفيس وطيبة ويسكن فى مصر

الجديدة لمجرد أن شوارعها اسمها طوتموزبس وسيزوستريس وأمازيس ، وماعليه الا ان يغمض عينه ساعة كل يوم ليتخيل ان الشقة المجاورة له تسكنها نفتيس بنت رادوبيس وزوجة ردامانتيس ٠٠٠ والمسيو أبو الفتوح الصباغ يسكن بجوار جنينة الحيوانات لان الشوارع هناك اسمها : ابن رضوان الطبيب ، عقبة بن نافع ، قرة بن شريك ، ابن بختيشوع الطبيب ٠٠٠ ويتوهم انه يعيش فعلا فى الفسطاط ، ولولا هذا لما وجد الشجاعة ليواجه القرن العشرين ٠

صانع الاقنعة : ما علاقة هذا الكلام بالمرأة الجريجية؟

روستوغنسيف : اقصد ان تحرير المرأة كان عندكم لا عند اليونان ٠٠٠ اليونان اهتموا بشىء واحد وهو تحرير الرجل ٠٠٠ أما المرأة اليونانية ، من المسلكة الى بائعة الجندوفلى فى ميناء بيريه فكانت حالتها اسوأ ما يكون ٠٠٠ تصوروا مثلا أن سيدة عظيمة مثل بنيلوب زوجة البطل أوديسيوس ملك ايثاكا يقول لها ابنها تليماك وهو لا يزال دون سن البلوغ : « هيا اذهبى الى حجرتك واشتغلى بأعمالك : اشتغلى بالنول والمغزل ، وأمرى وصيفاتك ان يلتفتن لعملهن ، فالكلام من شأن الرجال ، كل الرجال ، ولكنه من شأنى أنا قبل الجميع : فالامر أمرى فى هذه الدار » ٠٠٠ هكذا قال هوميروس نحو ١٠٠٠ ق٠م ٠ (« الاوديسا » ١/٣٥٦ ـ ٣٦٠) ٠٠٠ وبدلا عن أن تصفع بنيلوب ولدها تليماك أو تقول : اخرس ياولد ، نراها بالفعل تكف عن الكلام وتلتفت للنول والمغزل ٠ والذول

والمغزل ايام زمان كانا كشغل البرودرى والاوبيسون فى القرن التاسع عشر وكلعبة البريدج والهويست والكاناستا فى القرن العشرين ... اظن ان هـواية نسائكم المفضلة هى المشكحة فى شارع قصر النيل وسليمان باشا قبل الظهر وبعـد المغرب .. على العموم كان مكان المرأة فى اليونان القديمة هو البيت ، وكان لا يسمح لهـا أن تختلط بالرجال الا فى اسبرطة ... أمـا الشبان والبنات فكانوا لا يـرى بعضهم البعض الآخـر الا فى الاعياد والجنازات والمواكب بوجه عام ، ودائما وسـط جماعات وليس على انفراد ... وفى شعر ثيوقريط (ايديل ٢) وصـف لكيفية وقوع البنت فى غرام دافنيس من بعيد لبعيد فى موكب عيـد ارتميس ... وفى أوربيديس ان عـدم ملازمة المرأة بيتها يعرضها للقيل والقال (« نساء طروادة » ٦٤٢) والمشرع ليكورجوس قال (فى ليوقراط ٤٠) ان نساء اثينـا كن لا يجترئن ، عى فتح ابواب بيوتهن وقـد كان حـدثا رواه المشرع ان نساء اثينـا اجترأن غى فتح أبوابهن بعـد هزيمة خيرونا وعـودة الجيش المسحوق لبسألن عن الـزوج والاب والشقيق . هل مـات أو عـاد سالمـا ، وقـد استهجن فوكورجوس هـذه الفعلة الشنيعة لانـه « ظن انهـا لا تليق بهن ولا بمدينتهن » ... والمبـدأ العام فى اليونان القديمة كان ان المرأة لا تخرج من بيتها حتى تبلغ السن التى تجعل من يراها يسأل : أم من هـذه ؟ لا زوجة من هـذه ؟ ولا تخرج الا بصحبة مرافق أو شابيرون ذكر من اهل بيتهـا يكون موضع ثقة ، وكانت فى العادة تتبعها جاريتها ...

طبعـا جاريتها هـذه كانت اس البلاء لان الادب اليـونانى القـديم يصور الجارية دائما على انهـا الرسول بين العشيق والعشيقة ٠٠٠ نعلم هـذا من ستوبايوس (هيبرود) ٠٠٠ وفى قوانين صولون فى القرن ٦ ق٠م ٠ قانون ينص على ان المـراة حين تخرج للجنازات أو لاحتفالات الاعياد « يجوز لها ان تأخـذ معها ما لا يتجاوز ثلاث قطع من الثياب وما لا تزيد قيمته عن أوبول واحـد من الطعام والشراب » (والاوبول كان يساوى بنسـا ونصف البنس اى اقـل من قرش صاغ بالسعر الرسمى ولكن ربما كانت قيمته ريالا بالقـــوة الشرائيه للحقيقة) ٠٠٠ كذلك نص القانون على ان المرأة لا يجوز لهـا ان تخرج ليـلا الا فى عربة يضيئها مصباح ٠٠٠ وقد ظلت هذه اللوائح معمولا بهـا الى زمن بلوتارك فى القرن الاول فاذا أراد قومندان بوليس الآداب عندكم ان يأخـذ بمبـدأ الوقاية خير من العلاج فانى انصحه بقـراءة قوانين صولون وليكورجوس واستصدار قانون يحتم اضاءة كشافات داخل كل سيارة تمر ليـلا فى شارع الهرم او فى طريق العادى ٠٠ كل هذا يـدل على وجود أزمـة ثقـة شديدة بين رجـال اليونـان القديمة ونسائها ٠٠٠ وغير معروف اذا كانت القطع الثلاث الواردة فى قوانين صولون معنـاها ثلاثه غيارات أم مجرد ثلاث قطع من الثياب مثل الكومبينيزون والفســتان والشال أوالمـلاءة اللف ، وهـذا التفسير الاخير هـو الارجح لان تحـديد المـأكولات والمشروبات بما لا يتجاوز ريـــالا يتضمن ان نساء اليونان كان غير مسموح لهن بحمل الفلوس

فى شنط اليد أو فى غير شنط اليد ، والا فالتشريع يكون عبثا لان الفلوس يمكن ان تشترى تموين شهر أو سنة ٠٠٠ ويبدو ان الفكرة العامة كانت ارغام النساء تحت وطأة الجوع ان يعدن للنوم فى بيوتهن بدلا من النوم فى القرافة أو فى الحدائق العامة ٠

أبو الفتوح الصباح (يتحمس) : ايها الرجعيون ! اهتفوا معى : تحيا ذكرى صولون !

أغا طبوزادة والخشداش ابواظ : تحيا ذكرى صولون !

مجاهد بن الشماخ (فى امتعاض) : ما هذه السذاجة ؟ هذه مؤامرة صليبية ٠٠٠ تذكروا الروم ! تذكروا بيزنطة ! هؤلاء هم أعداؤنا التقليديون ٠ قولوا معى : فليسقط صولون وأهل صولون ٠

صانع الاقنعة : النظام ٠٠٠ النظام ٠

روستوفتسيف : ماذا فعلت ؟ هل اخطأت ؟ أنا أرد على سؤالكم : هل كانت المراة اليونانية متحررة أم لا ٠

صانع الاقنعة : مجاهد بن الشماخ غاضب لانك صورت المراة اليونانية فى صورة جميله : خاضعة تماما لسلطان الرجل ٠

روستوفتسيف : نعم ٠٠٠ هى كانت كذالك وكانت النساء تاكل على مائدة مستقلة بعيدا عن الرجال فى الحفلات والمآدب ٠٠٠ اعتقد ان هذا التقليد لا يزال موجودا بينكم فى الريف المصرى ٠٠٠ وقد بلغنى ان كل غلام

من الفلاحين عندكم ينهـر أمـه ويقول لها اف كما كان تليماك ينهـر بنيلوب ٠٠٠ ومع ذلك اذا اردتـم ان أقـلب لكـم الحقائق ، فهـذا سهل ٠٠٠ نحن العلماء الخواجات مدربـون على ذلك ٠٠٠ مثلا عندما تكون هنـاك أزمة سياسية بيننا وبين المصريين نصـدر « ابحاثا » علمية نثبت فيهـا ان اصل الحضارة كان فى سومر وليس فى مصر ٠٠٠ واذا اختلفنا مع العراق أثبتنـا انـه كان فى مصر وليس فى سومر ، واذا اختلفنـا مع كل العرب نقلنـا اصل الحضارة الى الصين او الهنـد بحسب الحالة ٠

صانع الاقنعـة : لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ نحن نريـــد ان نستنير ٠ استمر يـا خواجه ٠

روستوفتسيف : **على كل حال** : استعباد المـــرأة فى اليـونـان القديمة يثبت وجهـة نظركم ٠٠ يثبت ان المـرأة الاوروبية منـذ فجر التاريخ كانت منحرفة ويجب ان تعامل بالعصـا ٠٠٠ مثلا أوربيديس فى مسرحية « اندروماك » البيت ٩٢٥ ينصـح الرجال العقلاء ان يمنعوا نســاءهم عن استقبال النســاء الاخريات لانهن « معلمات لكل الشرور »٠٠ ومن كوميديـا أرسطـوفانيس « أعيــاد ثيسمافـوريا » (البيت ٤١٤) نعرف ان رجال اليونان كانوا يســجنون نساءهم فى حرملك يسمونه بلغتهم « جونايكونيتيس » ، أى « حجرة النساء » ويغلقون الحرملك بترباس محـــكم من الخارج ، ولا يكتفون بهـذا بـل يضعون كلب حراسة مولوسى على عتبـة الدار ٠٠٠ لماذا كانوا لا يأتمنون نساءهم ؟ لانهن

كن نساء ملعبات ۰۰۰ ناقصات عقل ودين ۰۰۰ بالضبط كما تقولون أنتم عن نسائكم اذا أردتم اعتقالهن أو تحديد اقامتهن ۰۰۰ ومنذ ۸۰۰ ق۰م ۰ كان الشاعر هسيود يقول لليونان فى « الاعمال والايام » (البيت ٤٧-٠) أن باندورا ، وهى حواء اليونان ، كانت مصدر كل الشرور والاوبئة ، ويندد فى البيت ۳۷۳ بالنساء لانهن يمشين بطريقة تحريك الاليتين بالتبادل ، أو ما تسمونه هنا طريقة (هز ياوز) لكى يلخبطن عقول الرجال (راجعوا أيضا الابيات ۳۱۹ و ۷۰۱ وما يليه) ۰۰۰ حتى بريكليس العظيم رئيس جمهورية أثينا فى القرن الخامس ق۰م ۰ كان يقول : « خير النساء اقلهن ذكرا بالخير والشر فى محضر الرجال » ۰۰۰ ورد هذا القول المأثور فى ثيوسيديد ۲/٤٥ ۰۰۰ وفى « الثسمافوريا » لارسطوفانيس أيضا (البيت ۷۹۷) ان واجب النساء المتزوجات هو ان يتوارين د. ـ البيت حتى لا يراهن المارة ت الشارع من النوافذ ۰۰۰ ولكن ارسطوفانيس لم يصل طبعا الى حد تحريم النظر من وراء الشيش ۰۰۰ وقد حل أجدادكم فى العصر التركى المملوكى هذه المشكلة باختراع (المشربية) فاذا أردتم احياء هذا التقليد فعندنا فى امريكا نوع من الزجاج من وقف وراءه رأى دون ان يرى ۰۰ طبعا كانت هناك استثناءات قليلة لهذا الضغط والخرده على النساء ۰۰۰ فهيرودوت يذكر نحو ٥۰۰ ق۰م انه فى اقليم ليديا ، حيث أقسام يونان الاناضول ، لم يعترض الناس على ان تحصل البنات على ثيابهن بالدعارة (۲۹۳)

.. ولا تزال هناك رواسب من هذا التقليد باقية الى اليوم فى المراة العصرية ، ولكن المرأة العصرية اكثر دردحة من جدتها الليدية ، لانها تعلمت كيف تأخذ ولا تعطى وجعلت من السفلقة فنا جميلا ... فبعض بنات اليوم بمجرد غمزة او ابتسامة او على اكثر تقدير مجرد قبله يستدردن الرجل فى شنطة يد أو زوج من الاحذية وربما فى فستان أو ساعة حريمى وهن فى الطريق الى السينما ... كذلك كانت فساتين نساء اسبرطة مشقوقة فى الجوانب من تحت حتى الفخذين ، وهى موضة متحررة كانت تثير استهجان كل اليونان .

والحقيقة ان الحضارة اليونانية كانت العصر الذهبى لا لست البيت ولكن للغانية او « الهتيرا » كما كانوا يسمونها ، ولشىء آخر أخجل ان اسميه ولكنكم تعرفونه جيدا من شعر ابى نواس ... فأفلاطون فى « القوانين » يقول : « لدينا غوان لمتعتنا ومحظيات لخدمتنا الشخصية اليومية وزوجات ليلدن اطفالنا ويدبرن منازلنا بأمانه » ... وفى قانون ورد ذكره فى ديموستين الخطيب (« فى الارستقراطية » ٥٥) نجد ان النص يشير الى الام والزوجة والاخت والبنت والمحظية فى عبارة واحدة ... وفى هوميروس نجد ان امتلاك محظية او اكثر كان أمرا اشيع ما يكون فالمحظية اذن كان لها وضع رسمى ... اما الزوجة المسكينة فقد نصت القوانين والعرف والفلسفة واللاهوت عند اليونان ان مهمتها كانت محصورة فى شىء واحد وهو : « انجاب

ذريــة شرعية » كمــا فى لوسيان (« تيمون » ١٧) وكليمنت الاسكندرى (« ستروماته » ٢/٤٢١) وبلوتارك (« الموازنة بين ليكورجوس ونومــا » ٤) وزينوفون (« المذكــرات » ٢/٢/٣) وديموستين (« فورميو » ٣٠) وغيرهم ... وفى كتاب ارسطو عن « الدولة » (٢/٨/١٢٦٠) ان هوميروس ذكر ان الرجل كان يشترى زوجته من والديها بما كان يدفعه من « هدينا » أى هدايا يقدمها للعروس . وكانت غالبا من المــــاشية ... ولكننــا نعلم ايضـــا من هوميروس فى « الاوديســا » (١/٢٧٧ و ٢/١٩٦) وفى « الاليـــاذة » (٦/٣٩٥ و ٩/١٤٤ وغير ذلك) أن الزوج بعد أن يتسلم زوجته كانت الزوجة تتلقى من ذويها دوطة لزواجها ونعــلم من « الاوديسا » ٢/١٣٢ انه فى حــالة الانفصال يسترد أبو المــرأة الدوطــة ، ومن « الاوديســا » ٤/٥٩٥ أن المــرأة تفقد حقهــا فى الدوطــة فى حالة الخيــانة الزوجية ..

صانع الاقنعة : ولمــاذا كل هــذه الارقام ؟ تكلم كمـــا يتكلم النـاس .

روستوفتسيف : مستحيل ... هكذا نتكلــــــم فى محاضراتنا ... والاستاذ الــذى لا يذكر مراجعه يفصــــل فورا منعــا للتلفيق ، والا جلس اى استاذ فى اقرب بار وبنى حضارة بأكملهــا على الورق من رغاوى البيرة .

صانع الاقنعة : استمر وعنعن كما تشاء .

روستوفتسيف : على العموم حكاية « الذرية الشرعية » هــذه كانت الركن الوحيــد للزوجية فى اليونـان القـــديمة .

والافلاطون هو الوحيد الذى ادخل عليها بعض التحسينات فى « القوانين » (٧٢١/٤ و ٧٧٤/٦) حيث قال ان الزواج هو أداء واجب عام : فواجب المواطن ان يترك وراءه ذرية تعبد الالهة وتخدم الدولة ، وكان افلاطون يطالب بتطبيق عقوبات على العزاب كالغرامة وفقدان الحقوق المدنية . وفى بلورتارك (« ليكورجوس » ١٥) ان عزاب اسبرطة كانوا يفقدون بعض حقوقهم المدنية كالاشتراك فى المباريات ، وكانوا يجمعون فى السوق ويؤمرون بأن يغنوا اغانى يسخرون فيها من انفسهم ... يعنى كل واحد ذيهم يترنم بقوله مثلا : انا حمار كبير ... وهو اسلوب فى النقد الذاتى اجمل بكثير من اسلوب الروس فى عهد ستالين ومن أسلوب الانجليز فى الكنيسة الميثوديست حيث يقف المذنب أو المذنبة وهو يرتعش وسط جمهور مكفهر الوجوه من المصلين ويعترف بأعلى صوته : أنا قضيت الليلة الماضية فى بيت مسز فلان ، او أنا سرقت دجاجتين وأوزة من حقل جارى فلان ، فليسامحنى الله ... ولكن قوم اسبرطه كانوا قوما غريبى الاطوار ارجو الا يتشبه بهم أحد فقد كانوا يعشقون كمال الاجسام وصحة الابدان فى سبيل الحرب والرياضة لدرجة ان بلوتارك روى ان الزوج الاسبرطى كان من المألوف ان يعير زوجته مؤقتا لرجل آخر اقوى منه وأصح بدنا لينجب له اطفالا اصحاء اقوياء وسيمين ، ويشبه بلوتارك الزواج الاسبرطى بتهجين الخيول بهدف تحسين النسل .. وقد احيا الالمان هذه العادة الاسبرطية الغريبة أيام النازية ، وكان جزءا من واجبات الشباب الهتلرى والشابات

الهتلريات ان يقدموا للرايخ الثالثنماذج معتمدة من الجنس الآرى • قـامة فارعـة مثـل قـامة جويبلز وقـوام ممشوق مثـل قوام جورنج وشعر أصفر بلونـد مثـل شعر هتلـر ٠٠ وعيون زرقاء وقسوة جرمانية مثل ايرما جرايس التى كانـت تصنع الاباجورات من جلـد الاسرى •

صانع الاقنعة: دعنـا من موضوع النسل ٠٠٠ هـذه مشـكلة اخرى سنبحثها عنـد مناقشة حكاية تحـديد النسل ٠٠٠ تكلم عن المرأة فقـط •

روستوفتسيف : أنـا فرغت تقريبا ٠٠٠ لـم يبـق الا ان اقول انـه نظرا لعـدم اختلاط الجنسين فقـد كان زواج اليونان يتـم عن طريق الخاطبة ، ولـكن وظيفة الخاطبـة كثيرا ما اختلطت بوظيفة أخـرى سيئة السمعة ٠٠٠ ولـم نسمع احتجاجا على هـذا النظام الا فى افلاطون (« القوانين » ٧٧١/٦) الـذى طالب باختلاط الخطيبين قبل الزواج حتى ينجـو الزوجان من الخـداع ٠٠٠ منهـذا ترون آن الزوجـة فى اليونان القديمة كانت حياتهـا هامشية ومحاطة بجـدران كثيفة ، ولكن هـذا لم يمنـع ان تكون الخيانة الزوجيـة موضوعا شائعا فى أدب اليونان شيوعه فى حيـاة اليونان ٠٠ ولكن اليونان القديمة كانت فى الوقت نفسه فردوسا للغوانى او « الهتيرات » اللواتى مجـدهن ادب اليونان شعرا ونثرا فى كل العصور وبقى لنـا من أسمائهن اكثر مما بقى من اسماء الزوجات ٠٠٠ وكان عصرهن الذهبى فى القرن الرابع ق٠م • فاشتهرت منهن فرينـا التى كانت موديلا للمثال براكساتيليس

فى تماثيله لافروديت ، واشتهرت الغانية لاييس عشيقة المفكر ارستيب وجلوكا ملهمة الكاتب الكوميدى مناندر وليونتيون عشيقة الفيلسوف ابيقور • وكان لاكثر كبـار رجال الـدولة غوان شهيرات مثل اسبازيا صاحبة بريكليس وثارجيليـا عشيقة ملك الفـرس أثنـاء الحـروب الفارسـية ، وتاييس عشيقة الاسكندر الاكبر ، وكانت غانية أثينية جميلة تنازل عنها الاسكندر لقائده بطليموس الـذى تزوجها واجلسها معه على عرش مصر وأسس بها أسرة البطالسة ، وكانت لهـــا صديقة غانيه اسمها لاميـا حكمت أثينا مع عشيقها الجنرال ديمتريوس بوليوركتيس واقـام لهـا الاثينيون معبدا باسم افروديت لاميا • والاصل فى هؤلاء الغوانى انهن كن مجرد نسـاء عموميات لهن تسـعيرة فى الدولة الاثينية (١ أوبول فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين) ، أمـا اللوكس نكن يصلن الى ٦ اوبول ، وكانت الدولة الاثينية تشرف بـدقة على هـذه العمليات بسبب الضرائب وانتهت بتاميم الهتيرات فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين • وكان جزء لا بأس بـه من ايرادات الدولة يحصل بهـذهالطريقة الغريبة • ولكى ثبت تاريخيـا ان ايرادات الضرائب من القطاع الخاص (اللوكس) كان أكبر من ايراداتها من القطـاع العـام • المهـم أن البنات الهتيرات ظهرت بينهن طبقة ذكيـة مثقفة نحو ٣٠٠ ق٠م • ايــــام الفيلسوف ابيقور ، فكن ينتظمن فى فصول لدراسة الفلسفة ويتجادلن فى المـاهية والمقولات والمفهــــوم والمـاصـــدق والاسطقسات ويقال ان ليونتيون صاحبة ابيقور تركـــت

رسـالة لا بأس بهـا فى الفلسـفة • نـوع من الجيشـا اليونـانية لتسلية العقل والجسد فى وقت واحـد • امـا الطامحات منهن فوصلن الى ما وصلت اليـه مدام دى ريكامييه ومدام دى مانتنون ومدام دى مونتسبان ومدام دى بارى ومدام دى بومبادور ايـام البوربون فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية • امـا البروليتاريات السناكيح منهن فكان اقصى منى الواحـدة ان تصبح محظية لرجل واحـد وتترقى الى رتبه « بالاكا » أى « محظية » بـدلا من كونها مرفقـا عاما ، وكان ذلك يتم مقابل ٢٠ الى ٤٠ قطعه من الفضـة ، وكان الرجل يستطيع ان يبيع محظيته فى اى وقت يشاء • نـوع من الرقيق الابيض • هـذه كانت احلام الحرية بالنسـبة لطبقة الهتيرا الغلبانة : اقصى منى الواحـدة ان تصبح أمـة أو جارية ! لقـد كان عصرا ذهبيا حقـا ، ولكن للرجـال فقـط •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : انظروا اليه • انظروا اليـه ••• انظروا اليهم • ابو الفتوح الصـباح ومجـاهد بن الشماخ وأبو سنة دهب لولى وعز الدين أيدمز المحيوى • انهم يتلمظون سيدى الرئيس : امنعهم من التلمظ•

مجاهد بن الشماخ : لا تصدق كلمة واحـدة مما يقول • هـذه دعاية مبشرين •

أبو سنة دهب لولى : هـذا فوق طاقة البشر • لـم اعـد احتمل ••• انا اطـالب بتدريس اليونانيات فى كل كليات الجامعة •

صانع الاقنعة : ممنــوع التلمظ ٠

المـاركسية المسخسخة : اذا كان اليونان على هــذه الدرجة من الانحطاط ، فلماذا يهوسوننا اذن بالادب اليونانى والفكر اليونانى والحرية اليونانية والحضارة اليونانيه ٠ ولمـاذا يقولون ان اليونان اخترعوا الحب الافلاطونى ٠ انــا لمـا كنت بنت ١٧ احببت ابن الجيران من وراء شــــــيش البلكونة وضبطنى ابى اسوى له شعرى فى الشـــباك لارد تحيته فضربنى علقــة سخنة ، وسمعت اخى الكبير يدافــع عنى ويقول لابى انــه مجرد حب افلاطونى فسكت عنى ٠ ولمـا عرفت ان افلاطون يونانى احببت اليونان بسبب افلاطون خيبت امـلى يــا شيخ ٠

روستوفنسيف : لا تعولى على حكاية الحب الافلاطونى هــذه يا سيدتى ، لانــه خاص بالرجال فقط ٠ أصل الحكاية ان افلاطون كتب كتــابا اسمه « النــدوة » فى صورة محاورات بين جماعة من صـفوة المثقفين فى اثينا تجرى فى بيت الشاعر أجاثون ، وهــو شاعر سيىء السمعة جـدا فى الكــلام عن الرجال ، وعلى لسان باوسانياس يقول افلاطون انــه يجب التفرقه بين الحب المقدس القائم على الانســــــجام الروحى والتجاذب الفكرى ، وبين الحب المبتــذل القائم على ارضــاء الجسد ٠ وعنــده ان الحب المقــدس لا يمكن ان يقــوم الا بين الرجل والرجل ٠ امــا الحب بين الرجـــــــل والمرأة فمن اختصاص الربة افروديت بانديموس ، اى ربة الحب المهيمنة على كل الناس ٠ وامــا افروديت اورانيا ، أو ربــة الحــب

السماوية فلا شأن لهـا بالحب الـذى يقوم بين الرجـــل والمرأة • فحب الرجل للنساء خارج من حيث المبـدأ عن نطاق الحب الافلاطونى الذى لا يعـرف نشوته الا « الاورانيون » ومعناها حرفيـا « السماويون » أى أصحاب الحب السماوى أو العشق الالهى • ومنذ ذلك التاريخ أصبح من يقول عن رجل: « هـذا أورانى » يسبه ويتهمه بأشياء فظيعة لا استطيع ان اتفوه بهـا • وقـد كانت الاورانية عنـد اليونان شائعـة كالاكل والشرب ، والغريب انهـا كانت عنـدهم لا تتعـارض مع البطولة • ففى « الياذة » هوميروس نجـد الاورانية بين البطـــل اخيل والبطل باتروكل وبين البطـــل باتروكل والبطـل بلاتون • وفى أرسطونانيس ، على عهدة افلاطون فى « الندوة » ، ان الاورانيين هم اقـدر الناس على الاشتغال بالسياسة • والمشرع الشهير صولون كان ينظر للاورانية نظرة طبقية محض فأجازها فى قوانينه بين المواطنين الاحرار وحرمهـا بين الاحرار والعبيد وليؤكد هـذا المعنى حرم تـداول الاموال فى كل علاقة أورانية ، والفكرة العامة عنـد اليونان ، ولا سيما فى اسبرطه ، ان الحب بين الرجال كان امـــارة الارستقراطية أو الـدم الـدورى الازرق ، والدوريون هـــم سكان بـلاد الاغريق قبل نزول اليونان بهـا • أمـا الحب المـألوف فهـو للدهماء وفى مجـلس العمـوم البريطانى الآن تجمع أورانى لاحياء قوانين صولون ، مما يـدل على عصريتها المتناهية • ولكن هـذا كله لـم يمنع ابطال اليونان وملوكهم وأمراءهم ومواطنيهم ان يكونوا عاديين فى علاقاتهم مع النساء

فيتزوجوا وينسلوا ويدافعوا عن نسائهم كما فعل منيلاوس في حرب طروادة ، ولم يمنع أخيل مثلا من ان يغضب ويجازف بمستقبل حرب طروادة لانهم حرموه من الاسيرة بريسيس اليونانى مجد جمال الرجل بتماثيل هرميز وابولو بلفدير اكثر مما مجد جمال المراة بتماثيل افروديت أو ديميتر • انسى حكاية الحب الافلاطونى يا سيدتى فهى خطا شائع • حضارة اليونان كانت حضارة الرجل لا حضارة المراة • والفرق بين اليونان والعرب هو ان اليونان مجدوا الاورانية بينما العرب نددوا بالنواسية •

وهنا شهق ابو سنة دهب لولى شهقة عظيمة واخذ يتمتم : « هذا فوق مستوى البشر • هذا لا يطاق » • فالتفتت اليه كل الانظار مستطلعة • اما صانع الاقنعة فأخذ يهز راسه مستنكرا وهو يلعن بصوت خفيض • هذا ما جرته علينا الرجعية وترهات ابو الفتوح الصباح عن العصر الذهبى والمراة الذهبية • ان نستمع الى كل هذا الحلام الفارغ • بلا حياء • بلا حياء • وباسم العلم • ثم التفت الى الخواجة روستوفتسيف وقال :

ـ انت يا خواجة لم تذكر كلمة واحدة عن حالة المراة فى روما القديمة •

فاجاب الخواجة روستوفتسيف بقوله :

ـ لا تكن عجولا • كل شىء مرهون باوانه • موعدنا فى الجلسة القادمة •

ختامها مسك

قال **صانع الاقنعة** : يا اخوانى • جاءتنى عريضة وقع عليها عشرون عضوا من اعضاء هذا المؤتمر ، يسمون انفسهم « رابطة حماية الالوف من اخطار الايف والاوف » • التابعة « للوكالة المركزية لحماية الملايين من اخطار لنين وستالين وكل بلشفى لعين » • وفى هذه العريضة أن الخواجة روستوفتسيف دسيسة شيوعيه على عقائدنا السنية • وانا استنكر هذه الاتهامات الجزافية • ولكنى برغم هذا ، منعا للشغب ، شحنت هذا الخواجة فى صندوق الى الجبانة التى جاء منها فى مكان ما بأمريكا الشمالية قبل ان يقدم تقريره عن حالة النساء فى روما القديمة • وبناء عليه فعليكم الآن ان تدعوا احد رجلين : اما جيبون الانجليزى واما مومسون الالمانى ليصف لنا حالة المرأة فى روما الذهبية وما تيسر من العصور الوسطى •

مجاهد بن الشماخ : لم نسمع بهذا ولا ذاك • لماذا لا ندعو المسعودى أو المقريزى أو ابن عبد الحكم أو ابن تغرى بردى او ابن أياس ؟

صانع الاقنعة : هؤلاء سندعوهم فى مناسبات اخرى ، ولا سيما حين نتكلم عن الطولونية والاخشيدية والفاطمية والايوبية • أنا اقترح أن ندعو ادوارد جيبون رغم أنه مات منذ مائتى سنة لان جيبون فى الواقع واحد من قبيلتنا نحن الادباء • هل من معترض ؟

ولم يعترض معترض ، ولكن لم يبد على أحد حماس • فدخل جيبون قاعة الجلسة بمجرد ان قال صانع الاقنعة : « أدخل يا جيبون » •

جيبون : انتم تريدون تقريرا عن نساء الرومان ؟

صانع الاقنعه : من اجل هذا دعوناك • وسنعطيك مقابل هذا كالعادة تذكرة طائرة مجانية الى الاقصر لتزور الكرنك ووادى الملوك •واذا انسجمنا من كلامك فرجناك على السد العالى وابو سمبل ، اما اذا انشكعنا جدا دعوناك للاقامة اسبوعا كاملا فى لوكاندة عمر الخيام على حساب الخواجة طرايان ووزارة الثقافة •

جيبون : أولا يجب ان تعرفوا ان الرومان كانوا على عكس اليونان على خط مستقيم •

صانع الاقنعه : ماذا تقصد بالضبط ؟

جيبون : أولا الرومان كانوا قوما اسوياء جنسيا ، وكانوا يحتقرون الشذوذ أو الاورانية ويسمونها « العادة الجريجية » • ثانيا الرومان كانوا كأهل الغابة ، يعيشون بلا فرامل ، وينظرون للجنس نظرهم الى الاكل والشرب • وكانوا يعيشون فى جزع من الجوع الجنسى ويسوون بين

الرجال والنساء فى الفوضى الجنسية • كانت الحياة الجنسية عندهم تبدأ فى سن ١٢ بالنسبة للبنات و ١٤ بالنسبة للاولاد • ومن أيام رومولوس مؤسس روما ، حتى ظهور النظام الملكى ، كانوا يعيشون فى شيء شبيه بفردوس القطط والكلاب • ومع ذلك فقد عرفوا نظام الزواج حتى فى عصر الفطرة • وكانت اقدم صور الزواج عندهم شراء الزوجة من ابيها • ولكن كان فى امكان اى رجل ان يصبح الزوج الشرعى لاى بنت دون موافقة أبيها اذا استطاع ابقاءها فى بيته سنه كاملة ، بشرط الا تبيت البنت خارج بيته اكثر من ثلاث ليال طوال السنة • فاذا حدث هذا أمكن للانسان ان يسترد ابنته ويبيعها لزوج آخر •

المعلم العاشر : ولماذا ثلاث ليال ؟

جيبون : لا تسلنى فأنا لا اعرف • ولكن لا تظن ان الرومان كانوا قوما بلهاء لقد قضوا كل حضارتهم لا عمل لهم الا شن الحروب ومد الطرق ووضع القوانين • وكانت بعض قوانينهم تبدو غريبة ولكنها فى الحقيقة وجيهة • مثلا كان من اسباب الطلاق عندهم ان تقوم المرأة بتزييت اقفال المنزل • والاغلب أن الازواج الرومان كانوا يربطون بين التشحيم والخيانة الزوجية على كل حال الرومان كانوا ينظرون الى النسل البشرى نظرهم الى العجول والبقر والجديان والماعز• فكان الاب « يملك » كل من ينجبهم من بنين وبنات ويتصرف فيهم كما يشاء : بالقتل او البيع

او المقايضة أو الاستثمار • نحن فى انجلترا نحب أن نقايض على زوجاتنا ، ولكن الجديد عند الرومان انهم كانوا يقايضون على أولادهم • تصوروا ان كلمة رومانتيكية مثل كلمة « الفاميليا » يعنى « الاسرة » كان معناها باللاتينية « الرقيق » أو « الممتلكات » أو شيء قريب من معنى « ما ملكت ايمانكم » وهذا تجاوز سلطة الاب عند اليونان وفى بابل واشور ومصر القديمة • ولكن كان على الاب قبل أن يتصرف فى بنيه أن يستشير مجلس الاسرة وهو يضم الاقارب والاصدقاء • على ان الاب الرومانى فقد تدريجيا سلطته فى قتل أولاده وانكمشت سلطته على بناته فى الحدود المالية ، فزواج البنت كان مصدر دخل للاب • وبقى للزوج الحق فى قتل زوجته اذا ضبطها متلبسة بالخيانة ، ثم سلب منه هذا الحق فى روما الامبراطورية ، أى منذ يوليوس قيصر فصاعدا ، غالبا لان يوليوس العظيم كان يخشى ان تبقى روما بلا نساء •

وفى الالواح الاثنى عشر (٤٥٧ - ٤٤٩ ق•م) وهى اقدم قوانين مدونة معروفه فى روما ، كان القانون يحرم الزواج غير المتكافىء ، أى الزواج بين أبناء الاشراف وبنات الشعب • وكان من اشد الناس ضراوة فى تطبيق هذا القانون حاكم متعجرف اسمه ابيوس كلوديوس ثم سخر منه القدر فجعله يعشق بنتا من بنات الشعب اسمها فرجينا وكانت فرجينا بنت ضابط مخطوبة لتربيون من تربيونات الشعب ، وهو مثل قولكم عضو مجلس الامة •

وغضب الاب لشرفه فطعن بنته واجهز عليهـا فى الفورم ، وهـو سوق رومـا • وادى هذا الى قيام فتنـة فى الجيش فتراجع الاشراف والغـوا القانون وأجازوا الزواج المختلط •

وبتقـدم المدنية الرومانية فقـدت المـرأة قيمتها كعاملة أو دابـة من دواب الحمل فى الحقول ، واصبحت ست بيت ، أى اصبحت عبئا على زوجهـا • وبهذا تغيرت عـادة شراء الزوجات ، واصبحت الزوجـة هى التى تدفع المهـر الـزوج وتشـارك فى الانفاق على البيت • وهـذا اعطى الاب الحـق فى ان يحتفظ بسلطته على بنته بعـد الزواج ، كمـا ان استقلال المـرأة الاقتصادى دعم مركزها ووسع حرياتها الى درجـه غير لائقة بمكارم الاخلاق ، فشاع التساهل فى الحياة الزوجية • وعلى كل حـال فان الزوج الرومانى لـم يكن فيه من صفات عطيل شىء كثير ، بـل كان رجـلا عمليا يقبل الامر الواقع • وكان من الممكن للطرفين فض الزواج اذا استفحل الخلاف • وكان يمكن للمرأة ان تطلب الطلاق عن طريق القاضى لاسباب متعـددة منها غياب الزوج مـدة طويلة فى الحرب ، وقـد انتشر الطلاق فعـلا أثنـاء الحرب البونية الثانية ، وفى النهاية كان يكفى للطلاق مجـرد طلب الـزوج للخـدمة العسكرية ! وفى روما الامبراطورية استغنى الرومـان عن القاضى فى الاحوال الشخصية فأصبح يكفى للطلاق مجـرد اعلان شفوى من أحـد الطرفين • وكان من الممكن ترتيـب الامور بطريقة أخرى : فكان مألوفـا أن يتنـازل الزوج عن زوجته لصـديق من اصدقائه أو من اصدقائها ، مثلا كاتـو

الاصغر تنازل عن زوجته النبيلة مارسيا لصديقه هورتنسيوس لان هورتنسيوس اراد أن ينجب منها أطفالا . لاشك ان الرومان كانوا يرون هذا افضل من ان تنجب مارسيا لهور تنسيوس اطفالا وهى لا تزال فى عصمة كاتو . كذلك أوكتافيوس قيصر الشهير بأوغسطوس ـ عدو انطونيوس وكليوبترا ـ انتقلت اليه زوجته الاخيرة ليفيا بالتنازل من زوجها كلوديوس ، وفى روما الجمهورية ـ اى قبل القياصرة ـ كان هذا التنازل لا يتم الا برضا الزوجة لمنع بيع الزوجات أو نقل امتيازهن أو اعطاء التوكيلات بحقوق الارتفاق والاستغلال ولكن روما الامبراطوريه بدات تتساهل فى هذا الشرط الانسانى ، فاصبح التنازل عن الزوجة كالتنازل عن عقار أو موبيليا أو بهيمة .

عميد الصعاليك : يعنى مثلا شخص مزنوق فى قرشين هل كان يمكن أن يتنازل عن زوجته ؟

جيبون : لا . هذا يكون بيعا ، والبيع ظل فى روما الامبراطورية امتيازا لصاحب المال وهو الاب ، وانما فى اغلب الحالات كان التنازل يتم لاسباغ الصفة القانونية على زنا الزوجة بطريقة ودية بدلا من تتلهابحسب ما يبيح القانون . وفى العصور المتأخرة حين انتشرت الفروسية . كان من قواعدها اعتراف الفارس بعشيق زوجته . ولم يكن هذا مظهرا للكرم الرومانى ولكن أثباتا لان لزوجته معجبين. منطق غريب طبعا . فنحن اليوم لا نسمى مثل هذا الرجل

فارسا بـل نسميه باسم آخر اقـل رومانتيكية • فانظروا كيف تقدمت آداب المحـدثين على آداب القدمـاء وعلى العموم فانه لم يعرف عن الرومان ابـدا انهم كانوا يقتتلون عـلى النساء ، والمرآة عنـدهم لم تكن تـدخل فى قاموس النخوة • على الفلوس • نعـم • امـا على النساء فـلا •

مجاهـد بن الشماخ : الم نقـل لكم ان هـذه الشعوب الاوربية منحطـة بالفطرة ؟

الفارس المفروس : على العموم من يقرأ « مجنون ليلى » لاحمد شوقى يجـد ان العرب فى العصر الذهبى عرفت هـذه الفروسية المهببة ، ولو فى تقاليد العذريين وبنى عـامر • قيس مثلا كان يغار من ورد زوج ليلى ويضايقه بالاسـئلة الكثيرة عما كان يجرى بينه وبين زوجته بالليـل ، مثـل قولـه :

بحقـك هـل ضممت اليـك ليـلى
قبيـل الصـبح أو قبلت فاهـا ؟
وهـل رفت عليـك قرون ليـلى
رفيف الاقحـوانة فى نـداها ؟

لدرجة أن ورد ذات مـرة أجابه معاتبا فى رفـق :

الزوج لا يسأل هـل قبل اهله وكم ؟
نعم لقـد قبلتها من راسها الى القدم

يعنى الزوج يعتـذر للعاشق عن قيامه بواجبـاته الشرعية • بـل ويؤكـد لـه ان ليلى لا تزال صنـاغ سليمة ديوم ان تسلمها :

كانت اطافتى بهـا كالوثنى بالصنم ٠

صانع الاقنعـة : فلنعـد الى الرومان ٠

جيبون : هـذه عـادة سيئة عنـدكم ٠٠٠ كل شىء تنسبونه الى العرب أو المصريين ٠ حتى العادات السيئة ، اتركوا شيئا للشعوب الاخرى ٠ العرب لـم تبتدع هـذه الفروسية المهيبة ٠ هـذا كان من ابتكار الرومان : ان العاشق أو العشيق كان يغـار من الزوج ٠ ويقال ان الشاعر أوفيـد هـو الـذى ابتكر هـذه التقليعة فى ديوانه « الغراميات » وفى ديوانه « فن الحب » وعنـه انتشرت فى أوروبا اكثر من الف سنة ، اى طوال العصور الوسطى ، وبالاخص بعـد ان امتلأت اوروبا بالفرسان من قوط وفنـدال وهون وبرابـرة نورديـين بشعر اشقر وعيون زرقاء وقامة فارعة مثـل الملك آرثر وفرسـان المـائدة المستديرة : تريستان ، وبارسيفال ، وسيجفريد ، ولانسيلوت وجالاهاد ، ممن كان يحلم بهـم هتلـر فى نوبات الصرع الآرى التى كانت تنتابه ٠ وكانـت للشاعر أوفيـد نظرية معقولة فى العشق نطبقها نحن فى الزواج وهو انـه لا بهجة فى الغرام اذا جـاء سهلا يسيرا ، اى ان الغرام لا يكون غراما الا اذا كان غزوا لقلب امرأة لا يستطيع كل انسان أن ينالها ٠ وكلما شق الغزو زادت اللـذة عنـد سقوط القلعـة وزادت نشوة الانتصـار ٠ والمرأة التى لا حارس لهـا تشبه القلعـة المفتوحة أو قلعـة بغير فرسان ٠ وبالطبع فى هـذه التقليعة تكون امنع قلعة هى المرأة المتزوجـة التى يحرسها زوج غيور شـديد اليقظة مثـل الوولف الالمـانى

أو الوولف الالزاسى ، واوفيد يقول انه يحب صاحبته كورينا بسبب مناعتها وأنه يغار كلما تصورها تقبل زوجها ويحذرها من حب زوجها ، بل ويصور فراش الزوجية على أنه فراش « الخيانة » تماما مثل صاحبكم قيس بن الملوح ، مجنون ليلى · والحب عند أوفيد له استراتيجية مثل استرلتيجية الحرب ·. فالمكان الملائم لحصار المراة ليس البيت ولكن الحفلات والمسرح والملاهى العامة · واستراتيجية بلا تكتيك لا تؤدى الى شيء : فلابد اذن من مرسال أو وسيط، وأفضل مرسال أو وسيط هو الوصيفة أو الخادمة · ثم ان الشجاعة نصف المعركة · ولكن يجب أن يفهم العاشق أن الهجوم الخاطف خطأ جسيم · فمد اليد أو خطف قبلة يفسد كل الخطط · المهم هو الصبر والتحلى بأداب السلوك التى يسمونها « الكورتوازى » أى سلوك البلاط ، باعتبار ان فينوس ربة الحب ملكة والعاشق فارس يخدم فى بلاطها! والمظهر الطبيعى لهذه الفروسية هو خدمة المحبوبة واظهار الاهتمام بها فى كل مناسبة ، ولا سيما فى المرض ، والرمز الطبيعى لهذا الاهتمام هو الهدايا : من علب البونبون الى باقات الورد ، ولا باس من خاتم رخيص أو حلق فالصو او شنطة يد من وقت لآخر · اما فصوص السوليتير فهى تفسد كل علاقة بين العشاق لانها تثير جشع المراة وتجعلها تنظر الى فارسها على انه منجم ماس او بلاتين وليس مجرد معجب ولهان · طبعا ديوان « فن

الحب » عمل سكاندال فى روما القديمة ، لا لانـه كان خارجا على الاداب ولكن لانـه كان وصـفا صادقا للمجتمع الرومانى فالناس فى العادة لا تحب من يضع امامها مرآة لترى دمامتها الحقيقية • وعلى العموم فقـد نفى اوفيـد فجأة الى آخر أطـراف الامبراطورية فى تونى على البحـر الاسود سـنة ٨ ميلادية ، نفـاه الامبراطور أوغسطوس قيصر دون ابـداء اسباب لا بسبب شعره ولكن بسبب علاقته بحفيدة الامبراطور التى نفيت ايضـا فى نفس السنة •

وانتم تقولون بحق ان النـاس على دين ملوكهم • متاريخ اباطرة الرومان زفت فى قطران • خـذوا مثلا يوليوس قيصر الذى فتح الدنيا اذا صدقنا الازجال التى كان يؤلفهـا جنوده عنـه وعن علاقته بالسيد بثينيا كما جـاء فى « تاريخ القياصرة الاثنى عشر » للمؤرخ الرومانى سويتونيوس فـان يوليوس قيصر كان نواسيا من طبقـة كومودور • وبعـده اوكتافيوس اى أوغسطوس قيصر ، كان فظيعـا جنسيا ، وقـد تزوج ثلاث مرات : الاولى من كلوديـا التى هجرهـا ليتزوج من عشيقته سكريبونيا ، وكانت امرأة متزوجـة فطلقهـا من زوجها وهى حامل قبل الوضع بأيام ، ثـم طلقهـا بتهمة الانحلال الخلقى ، ليتزوج من ليفيـا التى دخلت عليه بطفلتين من زوجهـا الاول • وحين دب المـلل فى قلبـه خشيت ليفيـا ان يتخلص منهـا فكانت تأتيه بالعـذارى الصغيرات جـدا من بنات الفقراء تماما مثـل صاحبكم شهريار فى « الف ليلة وليلة » وكان العـذر الرسمى الـذى

أعلنه أطبـاء البلاط ان هـذا يجـدد الخصوبة فى الامبراطور ولكن خصوبة الامبراطور لـم تتجـدد وانتهى امره بالتبنى ولن احـدثكم عن بنات زوجات الامبراطور وبناتهن مثـــل جوليـا وبنتها جوليا فقـد طحن مع الرجال وساءت سمعتهن لـدرجه ان أوغسطوس قيصر نفاهن وجردهن من الحقـــوق الملكية ٠ ولكن أوغسطوس حين بلغ الستين تحول الى رسول من رسل الاخلاق فسن مجموعة من القوانين لتشجيع الزواج وحماية الاسرة ، فحرم توريث العزاب الـذين فى سن الزواج وأعطى الاولوية للتعيين فى وظـائف الدولة لـذوى الذريـة الكبيرة وضيق فى الميراث على المتزوجين بـلا نسل وقيـــد الطلاق فاشترط لوقوعه وجود سبعة شهود ٠ وجعل الـدولة تتقاسم مع الزوج المخـدوع مؤخر صـداق زوجته المطلقـة للزنا ، وفرض العقوبات على الازواج الذين يخونون زوجاتهم مع محظيات ٠ ولكن بعـد موت أوغسطوس قيصر لـم يلتفت أحـد الى قوانينه لان أباطرة الرومان الذين أعقبـوه كانوا تشكيلة غريبة من الشواذ والمصابين بالحب الافلاطونى ، مثل الامبراطور فيتلّيوس الـذى قتله جنود فسبازيان لســـوء سلوكه ، والامبراطور السورى الاصل هليوجابولوس الـذى كان يظهر فى الحفلات الرسمية فى ملابس النساء ويلبس ياقة مرصـــعة بالجواهر واساور مرصعة بالـدر وقـد زجج حاجبيه بالقلم الاسود وصبغ خـديه بالبودرة والروج وكان يجلس فى قصره الى النول وينسج كالنساء ، وقـد وزع ســــــلطاته الامبراطورية على عشاقه العديدين وكان احـدهم يســـــمى

نفسه زوج الامبراطورة ، وقد قتل الجنود الامبراطور وهو فى سن الثامنة عشرة • حتى هادريان المحبوب تشبه باليونان فى شيئين : اطلاق اللحية والافلاطونية أو الاورانية • ولكن أغرب مافى الرومان أن أباطرتهم العقلاء كانوا شواذا جنسيا بينما كان اباطرتهم المجانين طبيعيين نسبيا : كاليجولا مثلا الذى عين حصانه قنصلا ، ودومتيان ونيرون وكومودوس طلقوا زوجاتهم بسبب الملل أو سوء السلوك وزهدوا فى النساء لان شهوتهم المفضلة كانت شهوة السلطة وشهوة تعذيب البشر •

وأفظع من أباطرة روما كانت امبراطوراتها ، واشهرهن مسالينا ، الزوجة الثالثة للامبراطور كلوديوس هذه كانت مجنونة بالجنس وحب السلطة معا ، وكانت معرفتها امتحانا عسيرا للرجال لانها كانت ترسل الى الجلاد عشاقها الخائبين • وفى مرة أعدمت رجلا لانها طمعت فى بستانه واعدمت رجلا لانه أبى أن يسايرها الى الفراش • وفى مرة اخرى كانت تعدم أشراف روما بالجملة لتنفرد بالسلطان فلما استتب لها الامر بدأت « ترمرم » ففى مرة اعجبت باحد الممثلين فأمرت باحضاره الى جناحها الخاص ، ثم تفزت القفزة الكبرى التى خلدت اسمها فى تاريخ الامبراطورية فخصصت لنفسها حجرة فى بيت من بيوت الدعارة وعلقت يافطة باسمها الحركى أو اسمها فى المهنة وهو ليسيسكا ، بحسب الاصول المتبعة فى روما القديمة • وكانت روما كلها تتحدث بذلك وزوجهاالامبراطور كلوديوس لايحرك ساكنا ولكنه اعدمها أخيرا حين حاولت ان تخلعه لتجلس على عرشه عشيقها الشاب جايوس سيليوس • ثم تزوج كلوديوس من

اجربينا اخت الامبراطور كاليجولا التى كانت بينها وبين اخيها علاقة محرمة ثم نفاها • فلما اصبحت اجربينا سيدة روما اخذت تقتل من حولها من نساء البلاط الجميلات او تنفيهن غيرة من جمالهن • ونجحت فى أن تحمل كلوديوس على أن يحرم ابنه من وراثة العرش لحساب نيرون وهو ابنها من زوج سابق ، ولما لم يمت كلوديوس فى سن معقولة دست له السم ، ثم حاولت ان تسيطر على ابنها نيرون كما سيطرت على زوجها كلوديوس فاغتالها نيرون • ولكن بوبايا سابينا ، زوجة نيرون الثانية نجحت فيما فشلت فيه أجربينا ، وكانت بوبايا من أصل شعبى ومتزوجه من قائد الحرس البريتورى فطلقها نيرون وزوجها من صديقه أوتو بقصد ان يعيش الثلاثة فى تبات ونبات • ولكن أوتو رفض هذا التبات والنبات فأبعده نيرون من بوبايا وجعله حاكما على المنطقة التى نسميها الآن البرتغال • ثم تزوج نيرون من بوبايا وجعلها امبراطورة روما فوضعت فى أنفه خطاما وحين أنجبت له بوبايا بنتا رقاها الى لقب « أوغسطا » أى « المعظمة » ولما ماتت أعلن أنها أصبحت الهه وبنى لها معبدا تقدم فيه القرابين والصلوات للربة بوبايا اوغسطا ! وكانت آخر حلقة كبيرة فى هذه السلسلة الذهبية من الملكات الفاجرات الامبراطورة ثيودورا (٥٢٧ ـ ٥٤٨) ميلادية زوجة جوستنيان العظيم أبو القوانين « المدونة » الخطيرة التى ترجمها الى العربية فقيه عندكم اسمه عبد العزيز فهمى

(باشا) . وقـد كانت تيودورا فى الاصل بغيـا شهيرة فى القسطنطينية ، وكانت وهى دون العاشرة تظهر على المسرح مع اختيها كوميتو وانستازيا وتخلع ثيابها قطعة قطعـــة للاغراء على طريقة الكباريهات المعروفة باسم « استريب تيز » ثـم احترفت البغـاء فى القسطنطينية على ارخص مستوى وعلى اغلى مستوى : من الجندى الى الجنرال ومن الجزمجى الى شهبنـدر التجار ثـم عشقها والى بنتابوليس واصطحبها معـه الى مقر عمله فى افريقيا . ولكنه لم يلبث ان طردهـا فتصعلكت فى الاسكندرية ورأت اياما من الضنك الفظيع ، وطافت تحترف البغـاء فى كل مـدن الشرق القديم . أمـا كيف أصبحت تيـودورا امبراطورة بيزنطة ، فيقـال أنهـا فى سنى ضنكها رأت رؤيـا أو حلما بأنها ستكون زوجـة ملـك عظيم . عجيبة هـذه حكاية الرؤى التى تراها النساء دائما فتغير مجرى الحياة . نحن فى القرن الثامن عشر عصر العقل نرفض تصديق هـذه الاشياء ، أمـا انتم فى القـرن العشرين فعندكم علم اسمه السيكولوجيا يبحث فى هـذه الظواهر . على العموم النتيجة كانت ان تيودورا عـادت من بافلاجونيا الى القسطنطينية متأهبة للعظمة الموعـودة وفى القسطنطينيه مثلت فنون المرأة المحترمة ، او « تابت » كمـا تقولون فى لغتكم ، واشتغلت بغزل الصوف لتكسب قوتها . وعشقها جوستنيان بجنون ، وكان يحكم بيزنطة فعليـا باسم عمه ، ولمـا عارضت الامبراطورة فى زواجه من تيودورا انتظر حتى ماتت والغى القانون الـذى يحرم زواج الممثـلات من

الاشراف وتزوج من تيودورا وتوجها وجعل رجال الـــدولة يقسمون لها يمين الولاء فجعلها بـذلك شريكته فى الحـــكم وكانت متغطرسة قاسية جشعة ينتظر صـدور الـدولة فى حجرة انتظارها ساعات طويله ثـم يؤذن لهم فى الدخـــول فيقبلوا قدميها • وكانت تخرج فيخرج فى موكبها ٤٠٠٠٠ تابع وعلى رأسهم وزير الداخليه (الوالى البرينورى) ووزيـــر الخزانة ، أمـا جناحها الخاص فكان مليئا بالخصـــيان والوصيفات الداعرات ونشرت جواسيسها فى كل مكان ، وكانت تسجن من يعارضها فى اقبـاء مظلمة كدهاليز اللابرانت تحت قصرها وتأمر ان يعذبوا فى حضرتها ، فيموت منهم من يموت امـا من ينجو فكان يفقـد بعض أعضائه ليكون عبرة لمـــن يعتبر ، وهى تقاليـد نافعة فى فن الحكم حافظت عليها بيزنطة أكثر من ١٤٠٠ سنة حتى حكم السلطان عبد الحميد • وكانت تيودورا متدينة الى حـدالهوس فبنت ديرا فى الضـــفة الشرقية من البوسفور جمعت فيـه ٥٠٠ من بغـــــايا القسطنطينية وحبستهن مـدى الحياة ، ومنهن من يئسن من الحياة فالقين انفسهن فى مياه البوسفور • وقـد كتب زوجها الامبراطور جوستنيان انـه استوحى كل قوانينه من زوجتـه الملهمه من السماء •

هـذا هو العصر الذهبى للمرأة الرومانية : بـدأ بشراء الزوجات وانتهى بتأليه البغايا والتثليث الجنسى باســم الفروسية • أمـا اذا أردتم تاريخ المرأة الذهبية طوال الف

سنة من العصور الوسطى الاوروبية ، فعندكم رجل يدعى ستيفن رنسيمان ، استاذ باكسفورد واخصائى عصور مظلمة ، يستطيع أن يحدثكم عن غرام تريستان وايزولدا وباولو وفرنشيسكا وابيلار وهلويزا وبترارك ولورا ودانتى وبياتريس (عمرها ٩ سنوات) وعن أحزمة العفة ذات الاقفال التى كان السير جودفرى وفرسان الحروب الصليبية يغلقونها حول خصور زوجاتهم قبل الرحيل الى الاراضى المقدسة ، وعما كان البابا اسكندر السادس يفعله مع اخته وبقية السيرة العاطرة لآل بورجيا ومديتشى وتشنشى وغيسكونتى • وربما وجدتم نوادر ذهبيه كثيرة عن بنات افروديت الذهبية فى الكتاب الذهبى عن « تاريخ البابوات » للمؤرخ فرايهر •

صانع الاقنعة : شىء مقرف • شىء مقرف • لا نريد مزيدا • انتم مقرفون يا حضرات الخبراء الاجانب •

جينون : الحقيقة دائما مقرفة يا حضرات الادباء المصريين ، نحن فى أوروبا نعرف ذلك ، ولهذا نواجهها بشجاعة فنثبت اقدامنا على الارض حتى حين نحلق فى السماء السابعة • ولهذا اعترفنا بحقوق المرأة وبحرياتها وساويناها بالرجل من يوم ان ساوينا الرجل بالرجل فى الثورة المجنونة التى تسمونها الثورة الفرنسية • أما أنتم فلكثرة غرامكم بالشعر تعيشون بين السحب وترصعون هاماتكم بالنجوم وتلتحفون بالمجرة لتهنأوا بالنوم ، وتحلمون بعصر ذهبى لا وجود له وتتوهمون ان الاجداد كلهم فضائل والاحفاد كلهم رذائل ، نحن أيضا كنا نفكر مثلكم

حتى اكتشفنا ان العالم يتقدم ولا ينحط ، وعرفنـــــا ان التقدمية وهى النظر الى الامام خير من الرجعية وهى النظـر الى الوراء · وكان ينقصنا الاثبات حتى جـاء ولـــد لنـا اسمه داروين واثبت لنـا ان الانسان كان منحطـا ثـــم ارتقى ولـم يكن راقيـا ثـم انحط ، وخلصـــنا من فكرة الخطيئة الاولى التى لازمتنـا منـذ ان نظم الشاعر غرجيل رؤيـا العصر الذهبى قبيل عـام واحـد ميلادية حتى ١٨٥٩ ، عـام ظهور كتاب « أصـل الانـواع » ·

صانع الاقنعة : الآن وقـد استنار المؤتمر بتقـــارير الخبراء عن المرأة الذاهبية فى العصر الذهبى عنـد العرب وفى مصر القديمة وفى بابل وآشور وفى اليونان القديمة وفى روما القديمة ، لـم يبق الا ان نأخـذ الاصوات على هـذا السؤال: هل المرأة اليوم احط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو أرقى منهـا ؟

ابن سيركوف : ســيدى الرئيس · قبل ان نأخـــذ الاصوات بلغنى أن الدكتور خطة أرسل لسيادتكم تقـريرا برأيه فى هـذا الموضوع · وانـا اطالب بقراءته على الاعضاء·

صانع الاقنعة : هـذا صحيح ولكنى استبعدت هـــذا التقرير لان الدكتور خطـة ليس اديبـا ولا فنـانا ، بـــل استاذ فى الاقتصاد ·

ابن ماركوف : نريـد التقرير ·

على الزيبق الجوكى : يجب ان تتفاعل الفنون والآداب مـع الاقتصاد ·

الايديولوجى الفهلوى : حتمية الحـل الاشتراكى تحتم هـــذا ٠

صانع الاقنعة : لا بأس ٠ لا بأس ٠

ثـم أخرج صانع الاقنعة من ملف أمامـه ورقة تلاهـا على الحاضرين ٠

قالت الورقة :

« سيدى رئيس مؤتمر الادبـاء والفنانين :

« تحيـاتى ٠٠٠ انتم رجال الادب والفن تعشـــقون الكلمات ، ولاسيما الكلمات السحرية ، مثـل حقوق الانسـان وتحرير المرأة لانكم مثل قبائل الاشانتى والشولوك والدنكـا لا تزالون تعيشون فى عصر السحر ، حيث الكلمة مسـاوية للفعل ٠ انتم تثبتون كل شىء بالاشعار ، مثـلا اذا أردتـم تعليم البنات قلتم « الام مدرسة اذا اعـددتها اعـددت شعبا طيب الاعراق » ٠ واذا اردتم ان تجعلوا المراة مجرد غانيـه فى الحريم قلتم : « كتب الحرب والقتال علينـا وعلى الغانيات جـر الذيول » ٠ واذا أردتم اغلاق مدارس البنـــات وحصر نشاط المراة فى الطبخ ومسح البلاط وشغل الابرة ، قلتـم مع المعرى :

علمـــوهن الغــــزل والـــردن
وخـــلوا كتــابة وقـــراءة
فصلاة الفتــاة بالحمد والاخـــلا
ص تغنى عن يـــونس وبـــراءة

واذا اردتم تجنيـد النساء فى الخـدمة العسكرية او

ادخالهن الحرس الوطنى تذكرتم ان اليونان كانت فيهـــا نســاء محاربات اسمهن الامازونات • واذا اردتم ان تثبتـوا ان المراة يمكن ان تحـكم مثـل الرجل قلتم : انظروا الى حتشبسوت أو المـلكة اليزابيث أو الامبراطورة كاترين • واذا أردتم ان تثبتوا ان المراة لا تقـل تدينـا عن الرجـل تذكرتم رابعة العـدوية وسانت تيريزا ، وهكذا • أمـا نحن رجال التنمية ، فنسمع كل هـذا الكـلام ونضـحك من سذاجه الادباء • نحن لا نقول ان قاسم أمين حرر المـرأة المصرية ، ولكننـا ننظر الى اربعة رسومات بيانية نطلبهـا من اللواء جمال عسكر مدير ادارة التعبئة : (١) رسم بيانى بنسبة العمالة بين النساء الىالعمالة بين الرجالمع بيـان بانواع الاعمال التى يزاولها الرجال والنساء • (٢) رسـم بيانى بنسبة اجور النساء الىأجـور الرجال • (٣) رسـم بيانى بنسبة توزيع المـلكية بين الرجال والنساء • (٤) رسم بيانى بنسبه التعليم بين الرجالوالنساء مع بيان نـوع التعليم ودرجته • واذا أردنـا ان نعرف حـالة المراة فى عهد رمسيس الثانى أو البطالسة أو المماليك طالبنا أولا باعداد هـذه الكشوفات قبل ان نقرر اذا كان العصر ذهبيا أم فضيا أم نحاسيا أم حـديديا • وبعـد دراسة هـذه الجـداول نحـكم ان كانت المراة المصرية متحررة فعـلا أم نصف متحررة أم متحررة فى الظاهر فقط أم ميئوس من تحريرها ، واذا بقى لدينا وقت بعـد هـذا نظرنا فى هـذه الاعتبارات المعنـوية التى يتحـدثون عنهـا كاتر الثقافة أو الفلسفة الاجتماعيـة

والحضارية والفكرية والروحية فى تحديد وضع الانثى بالنسبة للذكر سواء فى الاسرة أو فى المجتمع ٠

« نحن نعرف مثلا من خريطة العالم الاقتصادية ان المراة الروسية والمراة التشيكوسلوفاكية اكثر تحررا واكثر مساواة بالرجل وبالتالى اقل ذهبية من المراة الانجليزية أو الفرنسية ، لسبب بسيط وهو ان نسبة عمالة النساء الى الرجال فى الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا هى ١ : ٢ اى امراة تعمل مقابل كل رجلين يعملان ٠ وقد كانت نسبة عمالة النساء فى روسيا القيصرية ، قبل ثورة ١٩١٧ ، فى المتوسط ١ : ١٠ ، وهذه الثورة الحقيقية فى انتاجية المرأة الروسية هى التى ادت الى تدعيم حريتها ومساواتها بالرجل ، وليس بيانات تشايكوفسكى ، ومايكوفسكى وتوجان بأرانوفسكى ٠ والمرأة الانجليزية لم تتحرر نسبيا الا بعد الحرب العالمية الاولى ٠ فعندما كتب الحرب والقتال على الذكور الانجليز فى الفلاندرز وغيرها لم تجلس المرأة الانجليزية على عجزها أو تكتفى بجر الذيول ، بل لبست الاوفرول ودخلت المصنع وساقت الكاميون أو التاكسى او الجرار ووزعت البريد وخرمت التذاكر ٠ كانت نسبة عمالة النساء فى انجلترا قبل ١٩١٤ نحو ١٥٪ من مجموع القوة العاملة ، اى ١ : ٧ تقريبا ٠ وكانت أول ثمرة لازدياد العمالة بين النساء حصول المرأة الانجليزية على حقوقها السياسية جزئيا فى ١٩١٨ ، فنالت حق الانسحاب لمن يبلغ سن الثلاثين ، وفى ١٩٢٨ ، طبعا بسبب ازدياد عمالة

النساء ، لمن بلغن سن ٢١ • والآن ، مـا هـو المـــوقف فى بريطانيا ؟ ارتفعت النسبة الى ١ : ٣ ، ففى المملكة المتحدة ٢٠ مليون وظيفة تشغل النساء منها نحو ٥ ملايين ويشـغل الرجال ١٥ مليونا •وهـذا الاستقلال الاقتصادى النسـبى هـو الدعامة الاساسية للمساواة بين الجنسين • ولكنهـا طبعـا مساواة غير كاملة ، رغم أن بريطانيا تحكمها امـراة لسبب بسيط ، وهو ان متوسط اجر العامل فى بريطانيا ١٤جك فى الاسبوع بينما متوسط دخل العاملة ٧ جك فى الاسـبوع (لا تسألونى لمـاذا يسمون الجنيه الاسترلينى جك وليس جس) وليس معنى هـذا ان المهنـدس أو الطبيب أو المدرس أو العامل البريطانى بالضرورة يتقاضى ضعف مـا تتقاضاه المهندسة أو الطبيبه أو المـدرسة أو العاملة البريطانية اذا قامت بنفس العمل ، ولكن فى حساب المتوسطات نخلط دخل الزبال ودخـل المدير العام ونقسم على ٢ • وسبب انخفاض دخـل النساء العامـلات هـو أن أكثرهن يشـغلن الوظائف الدنيا كاعمال السكرتارية والبيع فى المحـــلات التجـارية والخـدمة فى المطاعم والبارات والبيوت والفنادق والمحـلات العـامة • نفس المشكلة قائمة بالنسبة للمراة الامريكية • ففى الولايات المتحـدة نحـو ٧٠ مليون وظيفة منهـا نحـو ١٤ مليونا تشغلها النساء و ٥٦ مليونا يشغلهـا الرجال ، اى بنسبة ١ : ٤ ، وهـو اقـل من بريطانيا ومجموع أجـور النساء فى امريكا يتراوح بين ٥٠٪ و ٦٠٪ من مجموع أجور الرجال • وقـد حصلت المراة الامريكية على حق الانتخـاب فى

١٩٢٠ ومع ذلك فالمرأة الامريكية تركب الرجل الامريكى لان نساء أمريكا يملكن بحسب آخر احصاء ٨٠٪ من قيمة الاموال المستثمرة فى أوراق مالية ٠ أو بعبارة اخرى الذكور فى امريكا بروليتاريا تشتغل لحساب الاناث فى امريكا ٠ وهذا يريكم ضرورة الرجوع الى الرسم البيانى بتوزيع الملكية فى المجتمع كلما أردتم ان تتكلموا عن تحرير المرأة ٠ أما المرأة الفرنسيه فلم تحصل على حق الانتخاب الا فى ١٩٤٦ وهى متخلفة فى المساواة بالرجل رغم الاسطورة الشائعة فى العالم عن تحرر المرأة الفرنسية ، وهى اسطورة خلقها عشاق باريس ولم يدركوا أنها للاستهلاك الخارجى ٠ ولم يدركوا أن باريس صممت لتكون عاصمة أوربا ، ونسبة العاملات الى العاملين فى فرنسا هى ١ : ٦ ، ولكن هذه القياسات طبعا غير دقيقة لان فرنسا لا تزال فى صميمها بلدا زراعيا ، والاحصاءات فى الريف عادة غير دقيقة لان تعاون المرأة فى الانتاج الزراعى والحيوانى وفى الصناعات المنزلية الخاصة بالاسرة أمر يصعب حصره ٠ أما فى مصر فليست هناك احصاءات واضحة لحالة العمالة بين النساء والرجال بسبب غلبة الاقتصاد الريفى ٠ وانما المعروف ان مجموع القوة العاملة (بين سن ١٥ وسن ٦٠) يتراوح بين ٦ و ٧ ملايين ٠ ويظن ان نسبة عمالة النساء الى الرجال عندنا ١ : ٦ فلابد أن تكون نسبة أجور النساء الى أجور الرجال ونسبه توزيع الملكية نسبة مزرية جدا بحيث تفسر انعدام المساواة بين النساء والرجال رغم ما يقوله الميثاق

فى هــذا الموضوع ، بــدليل عجز المرأة المصريه حتى الآن عن اصلاح قوانين الاحوال الشخصية مثلا • والمرأة المصرية الى الآن تعتبر ان بطانهــآ هى مصدر رزقهــا الاســـاسى • فوسيلتها الاولى فى ضمان قوتهــا اليومى هى تكبيل زوجهــا بعشرة اطفال حتى يعجز عن التخلى عنها ، أو لتضمن لنفسها اعــانة بطالة أو اعــانة شيخوخة فى حالة الرفت بالطلاق • وهــذا ما يجعل كل خططنا لتحــديد النسل هبــاء فى هبــاء ما لم تعــدل قوانين الاحوال الشخصية بحيث تمنح فصــل الزوجات فصلا تعسفيا أسوة بعمال المصانع وتطبق عليهن قوانين التأمينات الاجتماعية • ويوم ان نعترف ببطن المرأة كأداة من ادوات الانتاج الحيوانى ونخضعها لقوانين التأمينات الاجتماعية يمكننا أن نواجه مشكلة الانفجار السكانى مواجهة علمية لا مواجهة شعرية ، ويمكن ان نحقق ما جاء من بنود عن المــراة فى « ميثاق العمــل الوطنى » •

وتفضلوا يا سيدى الرئيس بقبول وافر احترامى •

(توقيع)

(د• عبد الحافظ شطــة)

ابن سيركوف : تحيــا الاقتصاد ولوجيا •

ابن ماركوف : تحيــا عمالة المرأة • يحيــا الاقتصــاد محرك التاريخ •

المــاركسية المسخسخة : تسقط الاغــلال الذهبيـــة • يسقط القفص الذهبى •

خولة المــايسطرية : لا • لا • هــذه شيوعية • أنـــا

شخصيا احب الاغلال الذهبية لانى احب الخلاخيل الذهبية والاسورة الذهبية والخواتم الذهبية والحلقان الذهبيــــة والعقود الذهبية ، وكل الاشياء المستديرة مادامت ذهبية ·

شجرة اللولى : طبعــا هــذه شيوعية ، ونحن اعـــداء الشيوعية ، مادام الرجال يحبون الاقفاص الذهبية فلابـــد من اقفاص ذهبية ولكن المهم ان تكون قضبانها سميكة عيار ٢٤ وواسعة بحيث يخرج العصفور ويــدخل كما يشاء · المهم ان يرى الرجل المراة داخل القفص الذهبى ، أو على الاقـــل ان يتوهم انــه يراها · ومــا دامت القضبان واســعة فليس يهم بتــاتا ان اكون داخــل القفص أو خــارج القفص ، ومن أحاديث جـدتى عرفت ان المشكلة الحقيقية هى تزيين فكــرة القفص الذهبى فى عين الرجل حتى ينفق عليه كل ماله ويجمد ثروته فى قضبانه الذهبية : عندئــذ يصبح الرجل ، لا المراة هــو اسير القفص كما تتفرج النمرة فى جنينة الحيوانات على الاطفال من وراء القضبان · انــا شخصيا اكتشفت ان اللولى أغلى من الذهب ، وقفصى كلــه من اللولى ··· يا حللولى ·

صانع الاقنعة : كفى نقاشا · لقــد استمعنا لاهـــم الآراء · والآن السؤال هــو ، للمرة الثانية ، هل المراة اليــوم أحــط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو ارقى منها !

المعلم العاشر : انــا معترض على طرح القضـــية على هــذا الوجــه ·

صانع الاقنعة : على اى وجــه تحب ان تطرحها ؟

على الزيبق الجوكى : لقــد اثبت كل الخبراء بالاسانيد

التاريخية والحسابية والثقافية والاقتصـــادية ان العصر الذهبى خرافة رجعية ابتكرها تحالف الاقطاع وراس المـال مع الاستعمار لابقـاء الشعوب المتخلفة فى تخلفها · فليـكن السؤال : هل هنـاك عصر ذهبى أو لا ·

صانع الاقنعة : موافق · السؤال المطروح امامكم هو · هـل هنـاك عصر ذهبى أو لا ؟

الموافقون يقولون : احم ! احم ! والمعارضون يقولون مثـل الكشافة : يعيش !

وهنـا دوت القاعة بهتاف يصم الاذان يقول : يعيش ! يعيش · يعيش · ولـم يسمع آلا خمس أو ست أحمات · وكان الهتـاف قاطعا فلم يجرؤ احـد ان يطالب بعـد الاحمات ·

صانع الاقنعة : نفهم من هـذا أن ادبـاء مصر فى عهد الثورة يرفضون فكرة العصر الذهبى ويعدونها خرافة رجعية ننتقل الى القضية الثانية وهى : ان نساء الامس كن افضل من نسـاء اليوم ·

الايديولوجى الفهلوى : ماذا تقصـد بأفضل ؟

صانع الاقنعة : اقصـد محصنات اكثر · يعنى بالبلدى أكثـر عفـة ·

مجاهـد بن الشماخ : على وجـه اليقين · على وجـه اليقـين ·

المعلم العاشر : بعـد كل ما قيل عن بلاج جلجل وحبال الفرزدق وتنكرات ابن ابى ربيعة وأورانية اليونان ومأخور مسالينا واستريب تيز الامبراطورة ثيودورا ؟

صانع الاقنعة : خـذوا الاصوات بنفس الطريقـة . الموافقون يقولون : احم ! . والمعارضون يقولون : يعيش :

وللمرة الثانية ارتفع دوى هـائل يقـول : يعيش ! يعيش ! يعيش . وغرقت الاحمات فى عـدير اليعيشـات . ولكن الـذى لفت النظر ان اصوات الاحمات كانت دائمـا يتخللهـا رنين أصوات النساء من اديبات مصر ، فقـد كـن اشـد من الرجال حماسة للعصر الذهبى .

صانع الاقنعة : اذن فادباء مصر فى عهـد الثورة يرون ان نساء الامس لـم يكن اكثر عفـة من نساء اليـوم .

على الزيبق الجوكى : هـذا غير كاف . أنـا اطلـب التصويت على القضية الآتية : ان نساء الامس كن « اقل » عفـة من نساء اليوم .

صانع الاقنعة : ربما كان هـذا صحيحا ، ولكن لا داعى للاستفزاز يـا على الزيبق . يكفى اننـا انقذنا سمعة المرأة المصرية فى القرن العشرين . ثـم لا تنس ان نساء الامس هن جداتنـا كما أن نساء اليـوم هن زوجاتنا . ونقص عفـة جـداتنا يصيبنا نحن فى مقتل . ويكفى اننـا بشهادة المؤرخين وعلماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا اكتشفنا حقيقة خطيـرة وهى أنه فى جميع حضارات العالم القديم ، كانت المرأة المصرية اولا ثم المرأة العربية ثانيا تتمتع بحقوق الانسان (الحرية . المساواة . الاخاء) وبحقوق الحيوان (المأكل . الملبس . المسكن الفراش) اكثر من المرأة فى بابل واشور واليونان القديمـة وروما . وليكن هـذا اجمل ختام لاجمل جلسات جلستموها

امتزجت فيهـا المتعة بالفائدة . واسمحوا لى ايهـا السادة ان ارفع الجلسة وافض هـذه الـدورة الاولى لهـذا المؤتمر الاول لادبـاء مصر وفنانيها . وسأحـدد لكم موعـد الـدورة الثانيه ، ولكنهـا لن تكون قبـل شهور طويلة . واقترح ان يكون جـدول الاعمال فى الـدورة القادمة هو « نظم الحـكم بين القـديم والجـديد » الا اذا جاءتنى اعتراضات كافيـة من الاعضاء . والى أن يحين الحين : ارفـع الجلسة واعلن انتهـاء الـدورة الاولى للمؤتمر . وفقكم اللـه لمـا فيـه نصر الفنون والآداب والعلوم الانسانية . وشكرا .

وهنـا دوت القاعه بالتصفيق . وانصرف الحاضرون زرافات ووحـدانا بعضهم يصهلل وبعضهم يجمجم وبعضهم يحمحم . ولكن كثرتهم الغالبة انصرفت وهى تبتســم فى طمأنينة المراهق الـذى اكتشف فجأة ان شاربه قـد اخضر بحيث يستطيع أن يعبث فيـه ويزهو به . وتفرقوا بـين فترينـات شارعى سليمان باشا وقصر النيل ، كل يبحث عن هـدية لزوجته تنفيـذا لقرارات المؤتمر الذى بـرأ نسـاء مصر من ذلة الاماء ومن خلاعة القيان : علبة بانكيك أو قـلم احمر شفايف أو زجـاجة بارفان ، بعـد ان تأكـدوا من ان رجـال العرب فى العصر الذهبى كانوا يهدون لزوجاتهم أدوات الزينة ، حتى عـز الدين ايدمـر المحيوى والخشداش ايواظ وأغاطبوزادة وأبو سنة ذهب لولى دخلوا جمـاعة الى دكـان هانو واشترى كل منهم لزوجته فستان سهرة من موضـــة اللامعقول استنادا الى ما قالته كتب العرب عن المتجـــردة

زوجـــة النعمان بن المنـــذر • وأمـــا ابو الفتوح الصباح فقد جره المجاهـد بن الشماخ قائلا : اسمع يـا اخى • طبعــــا نحن لن ننفـذ قرارات المؤتمر • يجب ان نتوارى عن العيـون حتى يرتفع هـذا البلاء • هـذا ما جرته علينـا وثنية اليونان وصليبية البابوات وبلشفية المعاصرين وجاهلية القـــرن العشرين •

((انتهـى))

للمؤلف

١ ـ The Theory and Practice of Poetic Diction. M. Litt. Dissertation, Cambridge University.

٢ ـ « فن الشعر » لهوارس • الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ • (كتب فى كامبريدج ١٩٣٨) • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٠ •

٣ ـ « بروميثيوس طليقا » للشاعر شلى • الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ •

٤ ـ « صورة دوريان جراى » لاوسكار وايلد • الناشر: دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٦ • الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ •

٥ ـ « شبح كانترفيل » لاوسكار وايلد • الناشر : دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، ١٩٤٦ •

٦ ـ « بلوتولاند » وقصائد أخرى : « من شعر الخاصة » • الناشر : مطبعة الكرنك ، القاهرة ، ١٩٤٧ • (نظم بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ بكامبريدج) •

٧ ــ « فى الأدب الانجليزى الحديث » • الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهــرة ، ١٩٥٠ • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العــامة للكتاب ، ١٩٨٦ •

(بحوث نشر أكثرها فى مجلة الكاتب المصرى خــلال ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •

٨ ــ Studies in Literature, Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1954.

٩ ــ « خاب سعى العشاق » لشكسبير • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ١٩٦٧ (ترجمت ١٩٥٥) •

١٠ ــ « دراسات فى أدبنا الحديث » • الناشر : دار المعرفة • القاهرة ، ١٩٦١ • (بحوث نشر أكثرها فى جــريدة « الجمهورية » عــام ١٩٥٤ وفى جريدة « الشعب » خــلال ١٩٥٧ و ١٩٥٨) •

١١ ــ « الراهب » : مسرحية تاريخية • الناشر : دار ايزيس ، القاهرة ، ١٩٦١ •

١٢ ــ « دراسات فى النظم والمذاهب » • الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٢ • الطبعة الثانية : دار الهــلال ، القاهرة ، ١٩٦٧ •

١٣ ــ « المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث » الجــزء الأول : « قضية المــرأة » الناشر : معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٢ • (محاضرات القيت على طلبة المعهــد) •

١٤ ــ « المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث » الجــزء الثانى : « الفكر السياسى والاجتماعى » الناشر :

معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ • الطبعة الثانية • الناشر : دار المعرفة، القاهرة ، ١٩٦٤ • (محاضرات ألقيت على طلبة المعهد) •

١٥ ـ « الاشتراكية والأدب » • الناشر : دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣ • الطبعة الثانية : دار الهلال القاهرة ، ١٩٦٨ • (بحوث نشرت فى « الجمهورية » خلال ١٩٦١ وفى « الأهرام » خلال ١٩٦٢ و ١٩٦٣) •

١٦ ـ « الجامعة والمجتمع الجديد » • الناشر : الدار القومية، القاهرة ، ١٩٦٤ •

١٧ ـ « دراسات فى النقدوالأدب » • الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٤ • الطبعة الثانية : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

١٨ ـ The Theme of Prometheus in English and French Literature (Ph. D. Dissertation, Princeton University, 1953). Ministry of Culture, Isis House, Cairo, 1963.

١٩ ـ « المسرح العالمى » • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ •

٢٠ ـ « البحث عن شكسبير » • الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٢١ ـ « نصوص النقد الأدبى عند اليونان » • الناشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

٢٢ ـ « مذكرات طالب بعثة » • الناشر : روز اليوسف سلسلة الكتاب الذهبى ، القاهرة ، ١٩٦٥ • (كتبت فى ١٩٤٢)

٢٣ ـ « دراسات عربية وغربية » • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

٢٤ ـ « على هامش الغفران » الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ •

٢٥ ـ « العنقاء : أو تاريخ حسن مفتاح » الناشر : دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ (رواية كتبت بين القاهرة وباريس بين ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •

٢٦ ـ « أجاممنون » لاسخيلوس • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٦ •

٢٧ ـ « المحاورات الجديدة : أو دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » • الناشر : دار روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ١٩٨٦ •

٢٨ ـ « الثورة والأدب » • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار روز اليوسف

٢٩ ـ « انطونيوس وكليوباترا » لشكسبير • الناشر: دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ •

٣٠ ـ « حاملات القرابين » • لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٣١ ـ « أسطورة أوريست والملاحم العربية » • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٣٢ ـ « الصافحات » لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ •

٣٣ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » : من الحملة الفرنسيه الى عصر اسماعيل • (جزءان) • الناشر : دار

الهـلال ، القاهـرة ، ١٩٦٩
٣٤ ـ « الجنون والفنون فى أوروبا ٦٩ » • الناشر : دار الهـلال ، القاهرة ، ١٩٧٠
٣٥ ـ « دراسات أوروبية » • الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧١ •
٣٦ ـ « الحـرية ونقد الحرية » • الناشر : مؤسسة التاليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •
٣٧ ـ « الـوادى السـعيد » • الناشر : لصمويل جونسون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ •
٣٨ ـ « رحلة الشرق والغرب » • الناشر : دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٢ •
٣٩ ـ « ثقافتنا فى مفترق الطرق » • الناشر : دار الأداب ، بيروت ، ١٩٧٤ •
٤٠ ـ « أقنعة الناصرية السبعة » • الناشر : دار القضايا بيروت : الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٦ : الطبعـة الثانية ، القاهـرة ، ١٩٧٦ •
٤١ ـ « لمصر والحرية » • الناشر : دار القضـايا ، بيروت ، ١٩٧٧ •
٤٢ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الآول : الخلفية التاريخية : الجـزء الأول) • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ •
٤٣ ـ « مقدمة فى فقـه اللغـة العربية » • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ •
٤٤ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصـر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الاول : الخلفية التاريخية،

الجـزء الثانى) • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ •

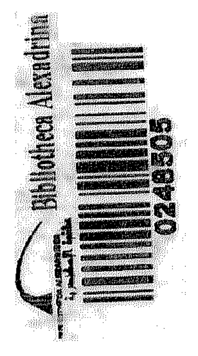
٤٥ ـ « تاريخ الفـكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الثانى : الفكر السياسى والاجتماعى) الجـزء الثـالث ، الناشر : مكتبـة مدبولى القاهرة ١٩٨٦ •

٤٦ ـ « اقنعة اوروبية » • الناشر : دار ومطـابع المستقبل ، القاهـرة ١٩٨٦ •

رقـم الايـداع
٨٦/٣٨٢٩

مطبعـة الطـويل
٤٧ شارع نظيف ـ روض الفـرج
تليفون : ٩٤٠٨٧٩

محاورات الدكتور لويس عوض الجديدة هى الأفكار التى تراوده فى مواضيع الفكر والسياسة والاجتماع ودليل قارئه الذكى إلى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية .



المستقبل بالفجالة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت